تفسير سورة يس

تأليف

الشيخ حمامي زاده

رحمه الله تعالى

اعتنى به

سوحنان بن سوحاري الغبانجي الجاوي

مكتبة ذرية المصطفى

تانجرانج - اندونيسيا

تفسير سورة يس

تأليف

الشيخ حامي زاده

رحمه الله تعالى

اعتنى به

سوحنان بن سوحاري الغبانجي الجاوي

مكتبة ذرية المصطفى

تانجرانج - اندونيسيا

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٤٧ هـ/ ٢٠٢٥ م

مكتبة ذرية المصطفى

تانجرانج - اندونيسيا

تفسير سورة يس

تأليف

الشيخ حمامي زاده

رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿يٰسٓ ۝١ وَالْقُرْاٰنِ الْحَكِيْمِ ۝٢ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ۝٣﴾ هٰذِهِ السُّوْرَةُ مَكِيَّةٌ، وَسَبَبُ نُزُوْلِهَا اَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوْا: اِنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَلَا مُرْسَلٍ بَلْ هُوَ يَتِيْمُ اَبِيْ طَالِبٍ وَمَا ذَهَبَ اِلَى الْمَكْتَبِ وَمَا تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، فَكَيْفَ يَصِيْرُ نَبِيًّا فَكَانُوْا مُصِرِّيْنَ فِي اِنْكَارِهِمْ، فَرَدَّ اللّٰهُ تَعَالٰى قَوْلَ الْكُفَّارِ، وَاَنْزَلَ هٰذِهِ السُّوْرَةَ وَشَهِدَ بِذَاتِهِ الْجَلِيْلِ عَلَى رِسَالَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اِنْ أَنْكَرَ الْكُفَّارُ رِسَالَتَكَ فَلَا تَغْتَمَّ بِذٰلِكَ اَنَا اَشْهَدُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ.

فَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ السُّوْرَةُ دَالَّةً وَشَاهِدَةً عَلَى رِسَالَتِهِ فَلَا جَرَمَ اَنَّهَا صَارَتْ قَلْبَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**اِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يٰسٓ وَمَنْ قَرَأَهَا كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ**

عَشْرَ مَرَّاتٍ»[١]

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «اِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ قَرَأَ سُوْرَةَ «يٰسٓ» وَ «طٰهٰ» قَبْلَ اَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ قَالُوْا: طُوْبٰى لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ هَاتَانِ السُّوْرَتَانِ، وَطُوْبٰى لِمَنْ تَحَمَّلَ بِهِمَا، وَطُوْبٰى لِأَلْسِنَةٍ تَتَكَلَّمَ بِهِمَا»[٢]

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ اَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَقْرَؤُوْنَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ اِلَّا «طٰهٰ» وَ «يٰسٓ»[٣] وَسُوْرَةَ الرَّحْمٰنِ»

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ قُرِئَ عِنْدَهُمَا سُوْرَةُ يٰسٓ وَهُمَا فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ نَزَلَ عَلَيْهِمَا بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ عَشْرَةُ اَمْلَاكٍ يَقُوْمُوْنَ بَيْنَ اَيْدِيْهِمَا صُفُوْفًا يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِمَا وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُمَا وَيَشْهَدُوْنَ غُسْلَهُمَا وَيَتَّبِعُوْنَ جَنَازَتَهُمَا»

---

(١) رواه الترمذي والدارمي عن انس وقال الترمذي هذا حديث غريب.

(٢) رواه الدارميّ عن ابي هريرة.

(٣) اخرجه الثعلبي في تفسيره (١٨٥١)، واصل الحديث: عن زياد، عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طٰهٰ ويٰس»

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «**اَكْثِرُوْا قِرَاءَةَ هٰذِهِ السُّوْرَةِ فَإِنَّ فِيْهَا خَصَائِصَ كَثِيْرَةً**».

حَتَّى قِيْلَ فِي شَرْحِ الْحَدِيْثِ: اِنَّ الْجَائِعَ اِذَا قَرَأَهَا بِحُضُوْرِ الْقَلْبِ اَشْبَعَهُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاِنْ قَرَأَهَا الْخَائِفُ أَذْهَبَ اللّٰهُ تَعَالٰى حُزْنَهُ وَخَوْفَهُ وَاِنْ قَرَأَهَا الْفَقِيْرُ خَلَّصَ مِنْ دِيْنِهِ، وَاِذَا قَرَأَهَا ذُو الْحَاجَةِ قَضَى اللّٰهُ تَعَالٰى حَاجَتَهُ.

وَمَنْ قَرَأَهَا فِي الصُّبْحِ يَكُوْنُ فِي أَمَانِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِلَى الْمَسَاءِ، وَفِي اَيِّ بَلْدَةٍ اِذَا تُلِيَتْ اَوْ فُسِّرَتْ رَفَعَ اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُمُ الْبَلَاءَ وَالْقَحْطَ وَالْغَلَاءَ وَالطَّاعُوْنَ وَالْوَبَاءَ وَالْمَرَضَ بِحُرْمَتِهَا.

وَمَنْ قَرَأَهَا فِي اللَّيْلِ يَكُوْنُ أَهْلُهُ فِي أَمَانِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِلَى الصُّبْحِ، وَاِذَا قُرِئَتْ عَلَى الْمَيِّتِ خَفَّفَتْ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ اِنْ كَانَ مِنْ اَهْلِ الْعَذَابِ وَاِلَّا فَتَكُوْنُ فِي رَوْحِهِ وَرَاحَتِهِ زِيَادَةً لِأَنَّ الْقَبْرَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجِنَانِ اَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ.

وَفِي لَفْظِ **يٰسٓ** خَمْسُ أَقْوَالٍ:

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْنَ: **يٰسٓ** يَا اِنْسَانُ، وَعَادَةُ الْعَرَبِ اَنَّهُمْ يَأْخُذُوْنَ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ حَرْفًا ثُمَّ يَتَلَفَّظُوْنَ بِهِ وَيَأْخُذُوْنَ مِنْ يَاءِ النِّدَاءِ يَا، وَمِنَ الْإِنْسَانِ سِيْنًا فَرَكَّبُوْهُمَا فَصَارَ **يٰسٓ**، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: يَا مُحَمَّدُ ﷺ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْنَ: اَلْمُرَادُ مِنْهُ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِيْنَ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **يٰسٓ** اِسْمٌ مِنْ اَسْمَاءِ الْقُرْآنِ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **يٰسٓ** اِسْمٌ مِنْ اَسْمَاءِ اللّٰهِ تَعَالٰى،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **يٰسٓ** اِسْمُ السُّوْرَةِ.

وَذُكِرَ فِي تَفْسِيْرِ الْإِسْتِرَابَاذِي: اِنَّ لِلّٰهِ تَعَالٰى اَرْبَعَةَ آلَافِ اسْمٍ، أَلْفٌ مِنْهَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ اللّٰهِ تَعَالٰى، وَأَلْفٌ مِنْهَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَلْفٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ وَثَلٰثُمِائَةٍ[1] فِي التَّوْرَاةِ وَثَلٰثُمِائَةٍ فِي الْإِنْجِيْلِ وَثَلٰثُمِائَةٍ فِي الزَّبُوْرِ وَمِائَةٌ مِنْهَا فِي

(١) ثلثمائة: عدد يساوي ثلاث مئات، وهو مركب من ثلاث ومائة، ويجوز فصلهما فيقال ثلاث مائة.

الْقُرْآنِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُوْنَ ظَاهِرَةٌ وَوَاحِدَةٌ مِنْهَا خَفِيٌّ وَهُوَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ لَا يَعْرِفُهُ اِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُوْنَ.

﴿عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝٤﴾ اَلْمُرَادُ مِنَ الصِّرَاطِ دِيْنُ الْإِسْلَامِ، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ وَدِيْنُكَ دِيْنُ الْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ، وَالْكُفَّارُ عَلَى دِيْنٍ بَاطِلٍ.

فَإِنْ قِيْلَ: أَقْسَمَ اللّٰهُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ، فَإِنْ كَانَ هٰذَا الْقَسَمُ لِلْكُفَّارِ بِأَنْ يُصَدِّقُوْا بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ فَهُمْ لَا يُصَدِّقُوْنَ وَإِنْ كَانَ لِلْمُسْلِمِيْنَ بِأَنْ يُصَدِّقُوْا بِأَنَّ مُحَمَّدًا لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ فَهُمْ يُصَدِّقُوْنَ بِلَا قَسَمٍ، فَمَا فَائِدَةُ الْقَسَمِ؟ أُجِيْبَ بِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَرَادَ اَنْ يُؤَكِّدَ كَلَامَهُ لِلْمُنْكِرِيْنَ، فَالْقَسَمُ نَوْعٌ مِنَ التَّأْكِيْدِ فَلِذٰلِكَ أَقْسَمَ اللّٰهُ تَعَالٰى بِهِ لِلْحُجَّةِ.

﴿تَنْزِيْلَ﴾ فَإِنْ قُرِئَ بِالنَّصْبِ يَكُوْنُ نَصْبُهُ بِالْفِعْلِ الْمَحْذُوْفِ، فَتَقْدِيْرُهُ: اِقْرَأْ تَنْزِيْلَ الْعَزِيْزِ، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ اِقْرَإِ الْمُنَزَّلَ مِنَ الْعَزِيْزِ الرَّحِيْمِ، وَاِنْ قُرِئَ بِالرَّفْعِ يَكُوْنُ خَبَرًا لِمُبْتَدَإٍ

مَحْذُوْفٍ، فَتَقْدِيْرُهُ: هٰذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ عَلَيْكَ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللّٰهِ ﴿الْعَزِيْزِ﴾ الْغَالِبِ الْمُنْتَقِمِ مِنَ الْعَاصِي ﴿الرَّحِيْمِ ۝﴾ لِلْمُطِيْعِيْنَ، فَاقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ هٰذَا الْقُرْآنَ لِلْمُنْكِرِيْنَ حَتَّى يَسْمَعُوْا كَلَامِي وَيَخَافُوْا مِنِّي وَيُجِيْبُوْا اِلَى الْإِنْصَافِ.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّآ اُنْذِرَ اٰبَآؤُهُمْ﴾ اَللَّامُ تَعْلِيْلٌ لِلتَّنْزِيْلِ، قِيْلَ: فَمَا فِي «مَا اُنْذِرَ» لِلنَّفْيِ اَيْ لَمْ تُنْذَرْ آبَاؤُهُمُ الْأَقْرَبُوْنَ لِتَطَاوُلِ مُدَّةِ الْفَتْرَةِ.(١)

وَقِيْلَ: مَا بِمَعْنَى الَّذِي اَيْ لِتُنْذِرَ قَوْمًا الَّذِي أُنْذِرَ بِهِ

(١) الفترة في الإسلام تُطلق على «الفترة الزمنية» بين إرسال رسولين، أي الفترة التي لم يصل فيها نبي أو رسول إلى أقوام معينين. أما «أهل الفترة» فهم الأشخاص الذين عاشوا في هذه الفترات ولم تبلغهم رسالة السماء، قال البغوي: واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي، خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ، وأقرب الأقوال في مدة الفترة ما في صحيح البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ست مائة سنة. ويعتقد أغلب الباحثين أن الله سيمتحنهم يوم القيامة، فيُرسل لهم رسولاً ليروا إن كانوا سيطيعون أم لا، من يتبع الرسول يدخل الجنة، ومن يكفر به يعذب في جهنم، وبعض الأقوال تشير إلى أنهم سيُختبرون بما شاءت حكمته، فمن يطيع يدخل الجنة ومن يعصي يدخل النار.

آبَاؤُهُمْ ﴿فَهُمْ غٰفِلُوْنَ۝٦﴾ عَنِ الْإِيْمَانِ وَالرُّشْدِ، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ أَنْزَلْنَا اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ لِتُخَوِّفَ بِهِ الْقَوْمَ الَّذِيْنَ لَمْ يُخَوَّفُوْا، وَالْمُرَادُ مِنَ الْقَوْمِ، قَوْمُ قُرَيْشٍ، لِأَنَّهُ مِنْ زَمَانِ اِسْمَاعِيْلَ عليه السلام اِلَى زَمَانِكَ مَا جَاءَهُمْ نَبِيٌّ وَلَا مُرْسَلٌ لِأَنَّهُمْ غَافِلُوْنَ لَا يَعْرِفُوْنَ دِيْنًا وَلَا شَرِيْعَةً.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلٰٓى اَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ۝٧﴾ اَيْ وَجَبَتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى عَلِمَ بِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ أَنَّ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَأَبِي جَهْلٍ[١] وَعُتْبَةَ[٢] وَشَيْبَةَ[٣] وَالْمُغِيْرَةِ[٤] وَأَمْثَالِهِمْ، فَالْخِطَابُ

---

(١) هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر المخزومي القرشي (٦٨ ق هـ - ٢هـ/ ٥٥٥-٦٢٤م) كان سيدا من سادات قريش من قبيلة كنانة وكان من أشد المعادين للنبي ﷺ، وكنيته أبو الحكم.

(٢) هو أبو الوليد عُتَبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني (٦٨ ق هـ - ٢ هـ/ ٥٥٥-٦٢٤ م) من كبار وسادة وحُكَماء قبيلة قريش في الجاهلية.

(٣) هو أبو هاشم شيبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني (٧١ ق هـ-٢ هـ/ ٥٥٢-٦٢٤ م) هو شقيق عتبة بن ربيعة، قتل في معركة بدر أثناء المبارزة على يد حمزة بن عبد المطلب.

(٤) هو الوليد بن المغيرة (٩٥ ق هـ - ١ هـ/ ٥٣٠-٦٢٢ م) كان سيداً من زعماء قريش ومن قضاة العرب في الجاهلية، وهو والد الصحابي خالد بن الوليد.

فِي حَقِّ هٰؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ لِتَأْكِيْدِ الْحُجَّةِ لَا لِطَلَبِ الْإِيْمَانِ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوْا مِنْ اَهْلِ التَّوْحِيْدِ وَالْإِيْمَانِ.

﴿اِنَّا جَعَلْنَا فِيْ اَعْنَاقِهِمْ اَغْلٰلًا فَهِيَ اِلَى الْاَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُوْنَ۝٨﴾ اَي رَافِعُوْنَ رُؤُوْسَهُمْ غَاضُّوْنَ أَبْصَارَهُمْ لِأَنَّ عَمُوْدَ الْغَلِّ فِي عُنُقِ الْمَغْلُوْلِ يَدْخُلُ تَحْتَ ذَقَنِهِ فَيَمْنَعُهُ خَفْضَ رَأْسِهِ.

وَهٰذِهِ الْآيَةُ عَلَى سَبِيْلِ التَّمْثِيْلِ لِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَيَتَكَبَّرُ بِمَنْ غُلَّتْ يَدُهُ اِلَى عُنُقِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ اِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، وَقِيْلَ: هِيَ إِخْبَارٌ عَنْ اَحْوَالِ الْكُفَّارِ فِي جَهَنَّمَ.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ سَدًّا وَّمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَاَغْشَيْنٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَ۝٩﴾ نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ فِي رِوَايَةٍ فِي حَقِّ أَبِي جَهْلٍ وَصَاحِبِهِ مِنْ بَنِي مَخْزُوْمٍ وَذٰلِكَ اَنَّ أَبَا جَهْلٍ حَلَفَ لَئِنْ رَاَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَرْضَخَنَّ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ فَأَتَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَفَعَ الْحَجَرَ شَلَّتْ يَدُهُ اِلَى عُنُقِهِ وَلَصِقَ

الْحَجَرُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا عَادَ اِلَى اَصْحَابِهِ وَاَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَى سَقَطَ الْحَجَرُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُوْمٍ: أَنَا أَقْتُلُهُ بِهٰذَا الْحَجَرِ فَأَتَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَأَرَادَ اَنْ يَرْمِيَهُ بِالْحَجَرِ فَأَعْمَى اللّٰهُ تَعَالٰى بَصَرَهُ فَجَعَلَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ ﷺ وَلَا يَرَاهُ فَرَجَعَ اِلَى اَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادُوْهُ، فَقَالُوْا: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا رَاَيْتُهُ وَلٰكِنْ سَمِعْتُ صَوْتَهُ وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْئٌ كَهَيْئَةِ الْعِجْلِ يَنْفُخُ بِذَنْبِهِ وَلَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ لَأَكَلَنِي، وَبَعْدَ ذٰلِكَ كُلَّمَا اَرَادَ اَبُوْ جَهْلٍ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَقْدِرُ اَنْ يَرَاهُ.

وَفِي رِوَيَةٍ، نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ فِي طَائِفَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَذٰلِكَ اَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ اَصْحَابِهِ كَانُوْا جَالِسِيْنَ يَوْمًا عِنْدَ بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: تَعَالَوْا نَأْخُذُ مُحَمَّدًا مَعَ اَصْحَابِهِ وَنَذْهَبُ بِهِمْ اِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ فَنَقْتُلُ مُحَمَّدًا مَعَ اَصْحَابِهِ وَمَنْ لَا يَرْضَى دِيْنَهُ نُخَلِّي سَبِيْلَهُ وَالَّا فَنَقْتُلُ كُلَّهُمْ، وَبَعْدَ هٰذِهِ الْمُشَاوَرَةِ اِتَّفَقُوْا وَأَتَوْا اِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَجَعَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ

سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا لَمْ يَرَوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ، نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ فِي حَقِّ الْمُشْرِكِيْنَ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوْا مُجْتَمِعِيْنَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ شَيْئًا، قَالَ: اِنْ رَاَيْتُ مُحَمَّدًا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَجَاء النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ عِنْدَهُ وَقَرَأَ سُوْرَةَ يٰس اِلَى قَوْلِهِ فَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ وَرَمَى اِلَى وُجُوْهِهِمْ وَلِحَاهُمْ وَذَهَبَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَلَمْ يَرَوْهُ وَهُمْ يَنْفُضُوْنَ التُّرَابَ عَنْ وُجُوْهِهِمْ وَلِحَاهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ: وَاللّٰهِ مَا رَأَيْنَاهُ وَمَا سَمِعْنَا صَوْتَهُ ﷺ.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ۝١٠﴾ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي عِلْمِ اللّٰهِ تَعَالٰى اَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ بَلْ يَمُوْتُوْنَ عَلَى الْكُفْرِ فَيَدْخُلُوْنَ النَّارَ، فَعَلَى هٰذَا التَّقْدِيْرِ يَكُوْنُ الْإِنْذَارُ تَأْكِيْدًا لِلْحُجَّةِ لِإِنْكَارِهِمْ ﴿اِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَّاَجْرٍ كَرِيْمٍ۝١١﴾ يَعْنِي يَا مُحَمَّدُ اِنْذَارُكَ

بِالْقُرْآنِ لَا يُفِيْدُ اِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَبِرِسَالَتِكَ فَمَنِ اتَّبَعَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيْثِ وَذَكَرَ اللّٰهَ تَعَالىٰ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فِي حَالِ الْغَيْبَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَخَافَ مِنَ الْعَذَابِ الْغَيْبِ الَّذِيْ أَخْبَرْتَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيْثِ فَمَنْ كَانَتْ فِيْهِ هٰذِهِ الْأَوْصَافُ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يَغْفِرُ جَمِيْعَ ذُنُوْبِهِ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيْهِ ثَوَابًا عَظِيْمًا.

﴿اِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتٰى﴾ اَيْ فِي الْقِيَامَةِ اَوْ فِي الْقَبْرِ لِجَوَابِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ اَوْ نُحْيِ الْقُلُوْبَ الْمَيِّتَةَ بِإِنْذَارِكَ.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا وَاٰثَارَهُمْ﴾ اَيْ نَأْمُرُ كِرَامًا كَاتِبِيْنَ بِأَنْ يَكْتُبُوْا اَعْمَالَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْنَ: اَلْمُرَادُ «بِاٰثَارِهِمْ» خَطَوَاتُهُمْ اِلَى الْمَسْجِدِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[1]

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (٣ ق هـ-٦٨هـ/ ٦١٨-٦٨٧م) وهو صحابي جليل وابن عم النبي ﷺ لُقِّب بحبر الأمة وترجمان القرآن» لغزارة علمه وتفسيره للقرآن، وكان من أوائل من روى الحديث النبوي. نشأ في مكة، ولازم النبي ﷺ، وبرع في علوم الفقه واللغة العربية وتفسير القرآن الكريم، وشهد مع علي بن أبي طالب معركة الجمل وصفين، هو أحد المكثرين لرواية الحديث، حيث روى ١٦٦٠ حديثًا عن النبي ﷺ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَبَبِ نُزُوْلِهَا اَنَّ قَبِيْلَةً مِنَ الْأَنْصَارِ شَكَوْا اِلَى النَّبِيِّ ﷺ بُعْدَ مَنَازِلِهِمْ اِلَى الْمَسْجِدِ وَأَرَادُوْا اَنْ يَبْنُوْا بُيُوْتًا عِنْدَ الْمَسْجِدِ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالىٰ هٰذِهِ الْآيَةَ وَهِيَ «**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا وَاٰثَارَهُمْ**» فَعُلِمَ مِنْ هٰذَا اَنَّ مَنْ أَتَى اِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ يَكُوْنُ ثَوَابُهُ اَعْظَمَ مِمَّنْ أَتَى مِنْ مَكَانٍ قَرِيْبٍ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**اَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُوا اللّٰهُ بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوْءِ عَلَى مَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخَطَوَاتِ اِلَى الْمَسْجِدِ وَانِتْظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ**»(١)

وَكَمَا قَالَ ﷺ «**أَعْظَمُ النَّاسِ اَجْرًا فِي الصَّلَاةِ اَبْعَدُهُمْ مَمْشًى اِلَى الْمَسْجِدِ وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ اَعْظَمُ اَجْرًا مِنَ الَّذِيْ يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ ثُمَّ يُصَلِّي**»(٢)

---

(١) أخرجه مالك (١/ ١٦١) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٥١) باختلاف يسير.

(٢) رواه البخاري (٦٥١) باختلاف يسير، ومسلم (٦٦٢) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باختلاف يسير، وزاد مسلم «في جماعة»

وَرُوِيَ فِي تَفْسِيرِ «اٰثَارِهِمْ» يَعْنِي مَا تَرَكُوْا مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ صَالِحَةٍ فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ اَجْرُهَا وَاَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ اَنْ يُنْقَصَ مِنْ اُجُوْرِهِمْ شَيْئٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ اَنْ يُنْقَصَ مِنْ اَوْزَارِهِمْ شَيْئٌ»[1]

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنٰهُ فِيْٓ اِمَامٍ مُّبِيْنٍ﴿١٢﴾﴾ اَيْ حَفِظْنَاهُ وَعَدَدْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ يَعْنِي لَيْسَ شَيْئٌ مَخْفِيًّا عَنْ عِلْمِنَا.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا اَصْحٰبَ الْقَرْيَةِ﴾ اَي أُذْكُرْ لَكُمْ يَا مُحَمَّدُ وَمَثِّلْ حَالَهُمْ بِقِصَّةِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ وَهِيَ أَنْطَاكِيَةُ[2] ﴿اِذْ

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٠٣) باختلاف يسير، واللفظ في روايته «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعُمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها ، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعُملَ بِها، كانَ عليهِ وزرُها وَوِزْرُ مَن عملَ بِها من بعده لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا»

(٢) أنطاكية هي مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط في محافظة حَطَايْ التُّرْكِيَّةِ.

﴿جَآءَهَا الْمُرْسَلُوْنَ ۝١٣ اِذْ اَرْسَلْنَآ اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ يَعْنِي يَا مُحَمَّدُ بَيِّنْ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَحْوَالَ أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ لِأَنَّا اَرْسَلْنَا اِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَسُوْلًا فَأَرْسَلْنَا اِلَى أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ رَسُوْلَيْنِ ﴿فَكَذَّبُوْهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ اَي قَوَّيْنَاهُمَا بِثَالِثٍ ﴿فَقَالُوْٓا﴾ اَي بَعْدَ تَقْوِيَتِهِمْ ﴿اِنَّآ اِلَيْكُمْ مُّرْسَلُوْنَ ۝١٤﴾ مِنَ اللّٰهِ فَوَحِّدُوْهُ وَآمِنُوْا بِهِ.

قَالَ الْمُفَسِّرُوْنَ: بَعَثَ عِيْسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُوْلَيْنِ مِنَ الْحَوَارِيِّيْنَ اِلَى مَدِيْنَةِ أَنْطَاكِيَةَ فَلَمَّا قَرُبَا مِنَ الْمَدِيْنَةِ رَأَيَا شَيْخًا يَرْعَى غَنَمًا وَهُوَ حَبِيْبُ النَّجَارِ صَاحِبُ يٰسٓ فَسَلَّمَا عَلَيْهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُمَا: «مَنْ اَنْتُمَا؟» فَقَالَا: «نَحْنُ رَسُوْلَا عِيْسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَدْعُوْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ اِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمٰنِ»، فَقَالَ الشَّيْخُ: «أَ مَعَكُمَا آيَةٌ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، نُشْفِي الْمَرِيْضَ وَنُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَنُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى»، فَقَالَ الشَّيْخُ: «اِنَّ لِيْ اِبْنًا مَرِيْضًا مُنْذُ سِنِيْنَ»، قَالَا لَهُ: «إِنْطَلِقْ بِنَا حَتّٰى نَطَّلِعَ عَلٰى حَالِهِ»، فَأَتَى الشَّيْخُ بِهِمَا اِلَى مَنْزِلِهِ فَمَسَحَا اِبْنَهُ فَقَامَ بِإِذْنِ اللّٰهِ

تَعَالَى صَحِيْحًا، فَآمَنَ حَبِيْبٌ بِهِمَا، فَفَشَا الْخَبَرُ فِي الْمَدِيْنَةِ وَشَفَى اللّٰهُ تَعَالىٰ عَلَى أَيْدِيهُمَا كَثِيْرًا مِنَ الْمَرْضَى.

وَفِي رِوَايَةٍ، كَانَ الشَّيْخُ أَعْمَى فَدَعَيَاهُ فَكَانَ بَصِيْرًا بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَكَانَ فِيْهَا مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ أَفْطَيْخِيْسُ وَكَانَ مِنْ كِبَارِ مُلُوْكِ يُوْنَانَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، فَأُتِيَ الْخَبَرُ اِلَيْهِ فَدَعَا هٰذَيْنِ، فَقَالَ: «مَنْ اَنْتُمَا؟» قَالَا: «نَحْنُ رَسُوْلَانِ مِنْ عِيْسىٰ عليه السلام»، قَالَ الْمَلِكُ: «وَبِمَ جِئْتُمَا؟» قَالَا: «لِنَدْعُوَكَ مِنْ عِبَادَةِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ اِلَى عِبَادَةِ مَنْ يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ»، قَالَ الْمَلِكُ: «أَ لَنَا إِلٰهٌ دُوْنَ آلِهَتِنَا؟» قَالَا: «نَعَمْ، وَهُوَ مَنْ أَوْجَدَكَ وَرَبَّاكَ وَآلِهَتَكَ»، قَالَ: «قُوْمَا حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكُمَا» فَتَبِعَهُمَا النَّاسُ فَأَخَذُوْهُمَا وَضَرَبُوْهُمَا فِي السُّوْقِ.

وَفِي رِوَايَةِ وَهْبٍ[1]: أَنَّ عِيْسىٰ عليه السلام بَعَثَ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني (٣٤-١١٤ هـ) هو تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام.

اِلَى أَنْطَاكِيَةَ فَأَتَيَاهَا وَلَمْ يَصِلَا اِلَى الْمَلِكِ فَطَالَتْ مُدَّةُ مَقَامِهِمَا، فَخَرَجَ الْمَلِكُ ذَاتَ يَوْمٍ اِلَى الصَّحْرَاءِ فَكَبَّرَا وَذَكَرَا اللّٰهَ تَعَالىٰ فَغَضِبَ الْمَلِكَ فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمَا وَجَلَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَقَالُوْا: «كُذِّبَ الْمُرْسَلَانِ وَضُرِبَا».

ثُمَّ بَعَثَ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَئِيْسَ الْحَوَارِيِّيْنَ وَهُوَ شَمْعُونُ عَلَى أَثَرِهِمَا، فَدَخَلَ شَمْعُوْنُ هٰذِهِ الْبَلْدَةَ مُتَنكِّرًا فَذَهَبَ اِلَى السِّجْنِ، فَقَالَ شَمْعُوْنُ لِلسَّجَّانِ: «أُرِيْدُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَلَى الْمَحْبُوْسِيْنَ بِهٰذِهِ الْأَرْغِفَةِ» ثُمَّ دَخَلَ شَمْعُوْنُ السِّجْنَ وَأَتَى عِنْدَهُمَا وَسَأَلَ عَنْ حَالِهِمَا، وَقَالَ: «قَدْ عَجَّلْتُمَا فِي الْأَمْرِ فَلَمْ تَأْخُذَا الْأَمْرَ بِالرِّفْقِ فَقَدْ اَشْبَهَ اَمْرُكُمَا اَمْرَ إِمْرَأَةٍ لَمْ تَلِدْ فِي شَبَابِهَا فَوَلَدَتْ فِي آخِرِ عُمْرِهَا وَلَدًا فَأَرَادَتْ أَنْ تَكْبُرَ وَلَدُهَا فِي زَمَانٍ قَلِيْلٍ فَأَطْعَمَتْهُ خُبْزًا، وَالْمُوْلُوْدُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَأْكُلُ فَبَقِيَ الْخُبْزُ فِي بَطْنِهِ، فَمِثْلُكُمَا مِثْلُ هٰذِهِ، أَمَا سَمِعْتُمَا إِنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالتَّأَنِّي مِنَ الرَّحْمٰنِ».

ثُمَّ خَرَجَ شَمْعُوْنُ مِنَ السِّجْنِ فَجَعَلَ يُعَاشِرُ حَاشِيَةَ الْمَلِكِ حَتَّى أَنْسَوْا بِهِ فَرَفَعُوْا خَبَرَهُ اِلَى الْمَلِكِ فَدَعَاهُ وَرَضِيَ عُشْرَتَهُ وَأَنِسَ بِهِ وَأَكْرَمَهُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ بَلَغَنِي أَنَّكَ حَبِسْتَ فِي السِّجْنِ رَجُلَيْنِ فَضَرَبْتَهُمَا حِيْنَ دَعَوَاكَ اِلَى غِيْرِ دِيْنِكَ، فَهَلْ كَلَّمْتَهُمَا وَهَلْ سَمِعْتَ قَوْلَهُمَا؟» فَقَالَ الْمَلِكُ: «لَا فَقَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذٰلِكُمَا غَضَبِي»، قَالَ شَمْعُوْنُ: «فَإِنْ رَأَيْتَ مَصْلَحَةً اُدْعُهُمَا حَتَّى نَطَّلِعَ عَلَى مَا عِنْدَهُمَا»، فَأَتَى بِهِمَا الْمَلِكُ، فَقَالَ لَهُمَا شَمْعُوْنُ: «مَا اَرْسَلَكُمَا اِلَى هُنَا؟ قَالَا: «اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ»، ثُمَّ قَالَ شَمْعُوْنُ: «صِفَا لَنَا صِفَتَهُ»، فَقَالَا: «اِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ»، ثُمَّ قَالَ شَمْعُوْنُ: «وَمَا آيَتُكُمَا»، قَالَا: «مَا يَتَمَنَّاهُ الْمَلِكُ».

فَأَمَرَ الْمَلِكُ حَتَّى جَاءُوْا بِغُلَامٍ مَطْمُوْسِ الْعَيْنَيْنِ وَمَوْضِعُ عَيْنَيْهِ كَالْجَبْهَةِ، فَمَا زَالَا يَدْعُوَانِ رَبَّهُمَا حَتَّى انْشَقَّ مَوْضِعُ

الْبَصَرِ فَأَخَذَا بُنْدُقَتَيْنِ مِنَ الطِّيْنِ فَوَضَعَاهُمَا فِي حَدَقَتَيْهِ فَصَارَتَا مُقْلَتَيْنِ يَبْصُرُ بِهِمَا، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ، فَقَالَ شَمْعُوْنُ لِلْمَلِكِ: «إِنْ سَأَلْتَ مِنْ آلِهَتِكَ حَتَّى تَصْنَعَ صُنْعًا مِثْلَ هٰذَا فَيَكُوْنَ لَكَ الشَّرَفُ وَلِآلِهَتِكَ»، فَقَالَ الْمَلِكُ: «يَا شَمْعُوْنُ لَيْسَ لِيْ عَنْكَ سِرٌّ مَكْتُوْمٌ اِنَّ إِلٰهَنَا الَّذِي نَعْبُدُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَنْفَعُ».

وَكَانَ شَمْعُوْنُ اِذَا دَخَلَ الْمَلِكُ عَلَى الْأَصْنَامِ يَدْخُلُ بِدُخُوْلِهِ وَيُصَلِّي كَثِيْرًا وَيَتَضَرَّعُ حَتَّى ظَنُّوْا اَنَّ شَمْعُوْنَ عَلَى مِلَّتِهِمْ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِلرَّسُوْلَيْنِ: «إِنْ قَدَرَ اِلٰهُكُمَا الَّذِي تَعْبُدَانِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ آمَنَّا بِهِ وَبِكُمَا»، قَالَا: «إِلٰهُنَا قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، فَقَالَ الْمَلِكُ: «إِنَّ هٰهُنَا مَيِّتًا مَاتَ مُنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَإِنِّي أَخَّرْتُهُ وَلَمْ أَدْفَنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ أَبُوْهُ وَكَانَ الْأَبُ غَائِبًا».

فَجَاءُوْا اِلَى الْمَيِّتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَجَعَلَا يَدْعُوَانِ رَبَّهُمَا عَلَانِيَّةً وَجَعَلَ شَمْعُوْنُ يَدْعُوْ رَبَّهُ سِرًّا فَقَامَ الْمَيِّتُ بِإِذْنِ اللّٰهِ

تَعَالىٰ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ مُتُّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَمُتُّ مُشْرِكًا فَأُدْخِلْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنَا أُحَذِّرُكُمْ عَمَّا انْتُمْ فِيْهِ فَآمِنُوْا بِاللّٰهِ»، ثُمَّ قَالَ الْمَيِّتُ: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَإِذَا نَظَرْتُ رَأَيْتُ شَابًّا حَسَنَ الْوَجْهِ يَشْفَعُ لِهٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَالَ الْمَلِكُ: «وَمَنِ الثَّلَاثَةُ؟» قَالَ: «أَحَدُهُمْ شَمْعُوْنُ وَهٰذَانِ»، وَاَشَارَ اِلَى صَاحِبَيْهِ، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ.

وَلَمَّا عَلِمَ شَمْعُوْنُ اَنَّ قَوْلَهُ قَدْ آثَرَ فِي الْمُلْكِ، أَخْبَرَهُ بِالْحَالِ وَدَعَاهُ اِلَى الْإِسْلَامِ، فَآمَنَ الْمَلِكُ وَآمَنَ قَوْمُهُ وَكَفَرَ الْآخَرُوْنَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ صَاحَ جِبْرِيْلُ عليه السلام عَلَيْهِمْ صَيْحَةً فَهَلَكُوْا.

وَفِي رِوَايَةٍ، قِيْلَ: اِنَّ ابْنَةَ الْمَلِكِ تُوُفِّيَتْ، فَقَالَ شَمْعُوْنُ: «يَآ اَيُّهَا الْمَلِكُ أُطْلُبْ مِنْ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَنْ يُحْيِيَا اِبْنَتَكَ»، فَطَلَبَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ مِنْهُمَا فَقَامَا وَصَلَّيَا وَدَعَوَا فِي الْعَلَانِيَّةِ وَشَمْعُوْنُ مَعَهُمَا فِي السِّرِّ فَأَحْيَا اللّٰهُ تَعَالىٰ الْمَرْأَةَ وَانْشَقَّ الْقَبْرُ

فَخَرَجَتْ، فَقَالَتْ: «أَسْلِمُوْا فَإِنَّهُمَا صَادِقَانِ»، ثُمَّ قَالَتْ: «فَمَا أَظُنُّكُمْ تُسْلِمُوْنَ»، ثُمَّ سَأَلَ الْمَلِكُ مِنِ ابْنَتِهِ: «كَيْفَ حَالُكِ فِي الْآخِرَةِ؟»، قَالَتْ: «لِيْ سَبْعَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ انَا مُتُّ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالِي فَوَجَدْتُ نَفْسِي كَافِرَةً وَبَعْدَ ذٰلِكَ عُذِّبْتُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَارٍ مِنَ النَّارِ لَا يُشْبِهُ عَذَابٌ وَاحِدٌ، فَلَمَّا كُنْتُ فِي دَارِ سَابِعَةٍ جَاءُوا بِرُوْحِي إِلَى جَسَدِي» فَقَالُوْا: «أُنْظُرِي اِلَى الْهَوَاءِ» فَنَظَرْتُ وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا حَسَنَ الْوَجْهِ مَدَّ يَدَهُ يَشْفَعُ لِهٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَنِ الثَّلَاثَةُ؟» فَقَالَتْ: «هٰذَا الشَّابُ» تَعْنِي شَمْعُوْنَ «وَهٰذَانِ» تَعْنِي هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، ثُمَّ قَالَتْ: «يَا اَبِي هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قَدْ أَخَذُوْنِي مِنْ ضَفِيْرَتِي وَأَخْرَجُوْنِي مِنَ النَّارِ فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ نَفْسِي فِي هٰذَا الْمَكَانِ»، ثُمَّ طَلَبَتِ الْإِبْنَةُ مِنَ الرَّسُوْلَيْنِ أَنْ يَرُدَّاهَا اِلَى مَكَانِهَا فَرَدَّاهَا فَعَادَتْ اِلَى قَبْرِهَا، وَفِي رِوَايَةٍ، آمَنَتْ وَرُدَّتْ اِلَى قَبْرِهَا، وَفِي رِوَايَةٍ، مَا آمَنَ الْمَلِكُ بَلْ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ، ثُمَّ

قَالَ الْمَلِكُ لَهُمْ: «مَا جِئْتُمْ هٰذَا الْبَلَدَ اِلَّا بِالنِّفَاقِ».

﴿قَالُوْا مَآ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يَعْنِي مَا أَنْتُمْ مُرْسَلُوْنَ بَلْ اَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿وَمَآ اَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا تَكْذِبُوْنَ﴿١٥﴾﴾ فَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ هٰذَا مِنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ ﴿قَالُوْا رَبُّنَا يَعْلَمُ اِنَّآ اِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُوْنَ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ اِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِيْنُ﴿١٧﴾﴾ اَي وَجَبَ عَلَيْنَا تَبْلِيْغُ الرِّسَالَةِ لِأَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى اَرْسَلَنَا اِلَيْكُمْ بِأَنْ نَدْعُوَكُمْ مِنَ الْبَاطِلِ اِلَى الْحَقِّ فَوَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَدِّقُوْا كَلَامَنَا وَتُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَبِرِسَالَتِنَا.

فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ أَنْطَاكِيَةَ هٰذَا ﴿قَالُوْٓا اِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وَذٰلِكَ أَنَّ الْمَطَرَ حُبِسَ عَنْهُمْ وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمْ أَمْرَاضٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَقَالُوْا: «مَا أَصَابَتْنَا هٰذِهِ الْبَلِيَّةُ اِلَّا بِشُؤْمِ قُدُوْمِكُمْ لِأَنَّا مَا رَأَيْنَا هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ مَجِيْئِكُمْ اِلَى بَلْدَتِنَا»، ثُمَّ قَالُوْا لِلرُّسُلِ ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ﴾ يَعْنِي اِنْ لَمْ تَكُوْنُوْا مُنْتَهِيْنَ عَنْ حَالِكُمْ لَنَقْتُلَنَّكُمْ بِالْحِجَارَةِ وَاَصَابَكُمْ ﴿مِّنَّا عَذَابٌ

﴿اَلِيْمٌ ١٨﴾ اَي مُؤْلِمٌ شَدِيْدٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ هٰذَا مِنْهُمْ ﴿قَالُوْا طَآىِٕرُكُمْ مَّعَكُمْ﴾ اَي أَصَابَكُمْ شُؤْمُكُمْ بِكُفْرِكُمْ وَبِتَكْذِيْبِكُمْ، يَعْنِي أَصَابَكُمُ الشُّؤْمُ ﴿اَىِٕنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَ ١٩﴾ اَيْ إِنْ وُعِظْتُمْ بِاللّٰهِ تَطَيَّرْتُمْ بِنَا اَوْ تَوَاعَدْتُمُوْنَا بِالرَّجْمِ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُوْنَ، فَتَجْرَءُوْنَ عَلَى قَتْلِ الرُّسُلِ فَبَلَغَ ذٰلِكَ الْخَبَرُ حَبِيْبًا[1]

﴿وَجَآءَ مِنْ اَقْصَا الْمَدِيْنَةِ رَجُلٌ يَّسْعٰى﴾ وَهُوَ حَبِيْبُ النَّجَّارِ، وَقَالَ السُّدِيُّ[2]: «كَانَ قَصَّارًا»، وَقَالَ وَهْبٌ: «كَانَ رَجُلًا يَعْمَلُ الْحَرِيْرَ».

وَكَانَ مَنْزِلُهُ عِنْدَ أَقْصَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِيْنَةِ، وَكَانَ رَجُلًا ذَا صَدَقَةٍ يَجْمَعُ كَسْبَهُ اِذَا أَمْسَى فَيَقْسِمُهُ نِصْفَيْنِ فَيُطْعِمُ نِصْفًا لِعِيَالِهِ وَيَتَصَدَّقُ بِنِصْفِهِ الْآخَرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ.

---

(١) اي حبيب النجار.

(٢) هو السُّدِّيّ الكبير، من تابعي مفسر، أصله من الحجاز، وأقام بالكوفة، روى عنه جمع من أئمة الرواة، واسمه: إسماعيل بن عبد الرّحمن الأعور السُّدِّي الكوفي، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بني عبد مناف، قرشي.

فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَهُ قَصَدُوْا قَتْلَ الرُّسُلِ جَآءَهُمْ سَاعِيًا ﴿قَالَ يٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِيْنَ ۝٢٠ اتَّبِعُوْا مَنْ لَّا يَسْـَٔلُكُمْ اَجْرًا وَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ۝٢١﴾.

وَفِي رِوَايَةِ قَتَادَةَ[١]، كَانَ حَبِيْبٌ فِي غَارٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ الرُّسُلِ أَتَاهُمْ فَأَظْهَرَ دِيْنَهُ، وَقَالَ الْآيَةَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: «لَمَّا انْتَهَى حَبِيْبٌ اِلَى الرُّسُلِ، وَقَالَ لَهُمْ: «أَتَسْأَلُوْنَ عَلَى هٰذِهِ الرِّسَالَةِ أَجْرًا»، قَالُوْا: «لَا وَلَكِنْ نَقُوْلُ اِتَّبِعُوْا»، فَقَالَ: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِيْنَ اتَّبِعُوْا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُوْنَ وَيَدْعُوْنَكُمْ اِلَى الْهُدَى وَاِلَى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيْمٍ».

فَلَمَّا سَمِعَ قَوْمُهُ ذٰلِكَ، قَالُوْا لَهُ: «آنْتَ كُنْتَ مُخَالِفًا لِدِيْنِنَا وَمُتَابِعًا لِدِيْنِ هٰؤُلَاءِ الرُّسُلِ»، فَقَالَ حَبِيْبُ النَّجَّارِ ﴿وَمَا لِيَ لَآ اَعْبُدُ الَّذِيْ فَطَرَنِيْ﴾ أَي بِأَيِّ سَبَبٍ لَا أَعْبُدُ خَالِقِي ﴿وَاِلَيْهِ

(١) هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السَّدوسي (٦١-١١٨هـ/ ٦٨٠-٧٣٦م) هو عالم في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، محدث، مفسر، حافظ، علامة.

﴿تُرْجَعُوْنَ﴿٢٢﴾﴾ اَي تُرَدُّوْنَ عِنْدَ الْبَعْثِ فَيُجَازِيْكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، قِيْلَ: أَضَافَ الْفِطْرَةَ اِلَى نَفْسِهِ وَالرُّجُوْعَ اِلَيْهِمْ، لِأَنَّ الْفِطْرَةَ أَثَرُ النِّعْمَةِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَظْهَرُ وَفِي الرُّجُوْعِ مَعْنَى الزَّجْرِ، وَهُوَ كَانَ أَلْيَقُ بِهِمْ، وَقِيْلَ: اِنَّهُ لَمَّا قَالَ: «اِتَّبِعُوْا الْمُرْسَلِيْنَ»، أَخَذُوْهُ وَرَفَعُوْهُ اِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَ كُنْتَ تَابِعًا لَهُمْ، فَقَالَ حَبِيْبٌ: وَمَا لِيَ لَا اَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ.

ثُمَّ قَالَ حَبِيْبٌ ﴿ءَاَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهٖٓ اٰلِهَةً﴾ إِسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ، اَي لَا أَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً ﴿اِنْ يُّرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ اَي لَا تَدْفَعُ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا مِنَ السُّوْءِ وَالْمَكْرُوْهِ لِأَنَّهُ لَا شَفَاعَةَ لَهُمْ ﴿وَّلَا يُنْقِذُوْنِ﴿٢٣﴾﴾ أَي لَا يُخْلِصُوْنِي مِنْ ذٰلِكَ الْمَكْرُوْهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَوْمُ كَلَامَ حَبِيْبٍ، قَالُوْا: «يَا حَبِيْبُ إِنَّ هٰؤُلَاءِ الرُّسُلَ صَدُّوْكَ عَنْ دِيْنِ آبَائِكَ فَارْجِعْ عَنْ دِيْنِ الرُّسُلِ وَاِلَّا نَقْتُلْكَ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ».

قَالَ حَبِيْبٌ جَوَابًا لَهُمْ ﴿اِنِّيْٓ اِذًا لَّفِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝٢٤﴾ أَي إِنْ رَجَعْتُ اِلَى دِيْنِكُمْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ لَقَدْ كُنْتُ فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ لِأَنَّ دِيْنَكُمْ بَاطِلٌ.

وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَوَجَّهَ اِلَى الرُّسُلِ فَقَالَ ﴿اِنِّيْٓ اٰمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوْنِ ۝٢٥ قِيْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ أَي فَلَمَّا قَالَ حَبِيْبٌ: «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوْنِ»، أَخَذُوْهُ وَشَدُّوْا عَلَى عُنُقِهِ سِلْسِلَةً فَصَلَبُوْهُ عَلَى بَابِ الْمَدِيْنَةِ.

وَقَالَ السُّدِيّ: «وَكَانُوْا يَرْمُوْنَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: اَللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي»

لِأَنَّ عَادَةَ أَوْلِيَاءِ اللّٰهِ تَعَالىٰ اَنَّهُمْ يَدْعُوْنَ لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ وَلَا يَغْضَبُوْنَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْغَضَبِ وَالْعَدَاوَةِ لَا يَكُوْنُ صَاحِبَ إِنْصَافٍ فَكَيْفَ يَكُوْنُ وَلِيَّ اللّٰهِ تَعَالىٰ، أَ مَا سَمِعْتُمْ أَنَّ قُرَيْشًا كَسَرُوْا سِنَّ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَجَرِ وَهُوَ يَدْعُوْ لَهُمْ، وَيَقُوْلُ: اَللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ».

وَقَالَ الْحَسَنُ[1]: «جَعَلُوْهُ اِرْبًا اِرْبًا فَجَعَلُوْهُ فِي سُوْقِ الْمَدِيْنَةِ وَقَبْرُهُ بِأَنْطَاكِيَةَ، وَاَدْخَلَهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ الْجَنَّةَ حَتَّى يُرْزَقَ فِيْهَا».

وَقِيْلَ: فَلَمَّا عَذَّبَهُ قَوْمُهُ وَصَارَ مُحْتَضِرًا كَشَفَ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَنْ بَصَرِهِ الْغِطَاءَ وَرَأَى الْجَنَّةَ،

وَقِيْلَ: يَا صَاحِبَ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ أُدْخُلِ الْجَنَّةَ وَكُنْ آمِنًا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فَعِنْدَ ذٰلِكَ،

قَالَ حَبِيْبٌ لَمَّا انْتَهَى بَصَرُهُ اِلَى الْجَنَّةِ ﴿قَالَ يٰلَيْتَ قَوْمِيْ يَعْلَمُوْنَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِيْ رَبِّيْ وَجَعَلَنِيْ مِنَ الْمُكْرَمِيْنَ ۝٢٧﴾ تَمَنَّى حَبِيْبٌ بِأَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ بِأَيِّ سَبَبٍ غَفَرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ لَهُ وَاَكْرَمَهُ لِيَرْغَبُوْا فِي دِيْنِ الْإِسْلَامِ.

فَلَمَّا قُتِلَ حَبِيْبٌ غَضَبَ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَلَيْهِمْ وَعَجَّلَ لَهُمُ

---

(١) اي أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (١٣هـ - ٤٩ او ٥٠ او ٥١ هـ / ٦٢٥-٦٧٠م) سبط الرسول محمد، صَحابيّ، خامس الخلفاء الراشدين عند أهل السنة والجماعة.

النِّقْمَةَ وَاَمَرَ اللّٰهُ تَعَالٰى جِبْرَائِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اَنْ يُهْلِكَهُمْ، فَجَآءَ جِبْرَائِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِلَى بَابِ الْمَدِيْنَةِ وَأَخَذَ مِصْرَاعَيْهِ وَحَرَّكَ الْمَدِيْنَةَ وَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيْمَةً فَمَاتُوْا جَمِيْعًا.

﴿وَمَآ اَنْزَلْنَا عَلٰى قَوْمِه مِنْ بَعْدِه مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِيْنَ﴿٢٨﴾﴾ أَي وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِ حَبِيْبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ لِيُهْلِكُوْا قَوْمَهُ مَا كُنَّا نَفْعَلُ هٰذَا الْاَمْرَ فِي إِهْلَاكِهِمْ كَانَ أَيْسَرَ عِنْدَنَا مِمَّا يَظُنُّوْنَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللّٰهُ تَعَالٰى سَبَبَ إِهْلَاكِهِمْ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿اِنْ كَانَتْ اِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً فَاِذَا هُمْ خٰمِدُوْنَ﴿٢٩﴾﴾ يَعْنِي صَاحَ جِبْرَائِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِنَا صَيْحَةً فَمَاتُوْا جَمِيْعًا، هٰذِهِ عُقُوْبَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿يٰحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ[1]: «يَا حَسْرَتَهُمْ عَلَى اَنْفُسِهِمْ»، اَلْحَسْرَةُ شِدَّةُ النَّدَامَةِ، وَفِيْهِ قَوْلَانِ: اَحَدُهُمَا يَقُوْلُ

(١) اي عكرمة بن عمرو أو عكرمة بن أبي جهل المخزومي القرشي المكنى بأبي عثمان. صحابي وفارس من فرسان قريش وأحد فرسان مكة، توفي في يوم اليرموك سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م.

اللّٰهُ تَعَالىٰ: «يَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً كَائِنَةً عَلَى الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِيْنَ لَمْ يُؤْمِنُوْا بِالرُّسُلِ»، وَثَانِيهِمَا اَنَّهُ قَوْلُ الْهَالِكِيْنَ،

وَقَالَ اَبُوْ الْعَالِيَةِ[1]: «لَمَّا عَايَنَ اَهْلُ الْمَدِيْنَةِ الْعَذَابَ، قَالُوْا: يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ» يَعْنِي الرُّسُلَ الثَّلَاثَةَ، حَيْثُ لَمْ يُؤْمِنُوْا بِهِمْ فَتَمَنَّوُا الْإِيْمَانَ حِيْنَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ،

وَقِيْلَ: الْعَرَبُ تَقُوْلُ: «يَا حَسْرَةً يَا عَجَبًا» عَلَى طَرِيْقِ الْمُبَالَغَةِ، وَالنَّدَامَةُ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى التَّنْبِيْهِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللّٰهُ تَعَالىٰ سَبَبَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ ﴿مَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِءُوْنَ۝٣٠﴾ أَيْ مَا آمَنُوْا بِهِ بَلْ كَانُوْا مِنَ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ عَلَيْهِ وَيَنْدَمُوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلٰكِنْ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ.

﴿اَلَمْ يَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُوْنِ﴾ يَعْنِي أَلَمْ

(١) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري، وكنيته أبو العالية، مولى امرأة من بنى رياح بن يربوع، أعتقته سائبة. تابعي وراوي حديث نبوي من الثقات، روى له الجماعة، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النَّبِيُّ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر بن الخطاب .مات في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، سنة ٩٣هـ وقال المدائني سنة ١٠٦هـ

يُخْبِرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَهْلُ كُلِّ عَصْرٍ، سُمُّوْا بِذٰلِكَ لِاقْتِرَانِهِمْ فِي الْوُجُوْدِ ﴿اَنَّهُمْ﴾ أَي تِلْكَ الْقُرُوْنُ ﴿اِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُوْنَ﴿٣١﴾﴾ اِلَى الدُّنْيَا، اَفَلَا يَعْتَبِرُوْنَ مِنْهُ ﴿وَاِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيْعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ﴿٣٢﴾﴾ أَي وَمَا كُلٌّ اِلَّا جَمِيْعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ، وَاِنْ قُرِئَ «لَمَا» بِالتَّخْفِيْفِ، تَكُوْنُ إِنْ بِمَعْنَى «قَدْ» يَعْنِي «إِنْ كُلٌّ مَخْلُوْقٍ يُجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَضْرَتِنَا وَنُجَازِيْهِمْ عَلَى عَمَلِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ».

كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ اَحَدٍ اِلَّا وَيُكَلِّمُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّٰهِ تَعَالٰى تَرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ ذٰلِكَ الْعَبْدُ يَمِيْنًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى اِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلَا يَرَى اِلَّا النَّارَ، فَفِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ يُسْأَلُ مِنْهُ، فِيْمَ أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ؟ وَالثَّانِي: فِيْمَ أَبْلَيْتَ شَبَابَكَ، وَالثَّالِثُ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ مَالَكَ، وَالرَّابِعُ: فِي أَيِّ شَيْءٍ صَرَّفْتَهُ، وَالْخَامِسُ: مَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ».

وَفِي حَدِيْثٍ آخَرَ، قَالَ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ النَّعِيْمِ يُقَالُ: اَلَمْ نُصَحِّحْ جِسْمَكَ؟ اَلَمْ نُرَوِّكَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ؟**».[1]

وَرُوِيَ اَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ[2] كَانَ يَعِظُ النَّاسَ يَوْمًا، وَقَالَ فِي وَعْظِهِ «إِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يَسْأَلُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَشْيَآءَ» وَكَانَ الشِّبْلِيُّ[3] يَمُرُّ بِبَابِ الْمَسْجِدِ وَيَسْمَعُ وَعْظَ الشَّيْخِ فَيَقِفُ عِنْدَ الْبَابِ، وَقَالَ لِلشَّيْخِ:«لَا تُخَوِّفِ النَّاسَ كَثِيْرًا لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ لَا يَسْأَلُ عِبَادَهُ اِلَّا عَنْ شَيْئَيْنِ، فَيَقُوْلُ: يَا عَبْدِيْ اَنَا كُنْتُ مَعَكَ وَاَنْتَ بِمَنْ كُنْتَ»

---

(١) وفي رواية الترمذي عن ابي هريرة «إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة -يعني العبد -من النعيم أن يقال له :ألم نُصِحَّ لك جسمك، ونُرْوِيك من الماء البارد؟»

(٢) لعل هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ/ ٨٧٤-٩٣٦م) أحد أعلام أهل السنة والجماعة، وإليه ينسب المذهب الأشعري لقب بإمام أهل السنة والجماعة، وبناصر الدين، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري.

(٣) هو الشيخ الزاهد أبو بكر الشبلي البغدادي، اختلف في اسمه، قيل: دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، ويقال اسمه جعفر بن يونس، ولد سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، وتوفي سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. أصله خراساني من مدينة أشروسة من قرية يقال لها شبلية ومنشؤه ببغداد كان عالمًا فقيهًا على مذهب مالك وكتب الحديث الكثير وصحب الجنيد البغدادي.

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْحَسَنِ هٰذَا الْكَلَامَ مِنَ الشِّبْلِي وَقَفَ فِي سَرِيْرِهِ وَطَارَ عَقْلُهُ، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: «يَا شِبْلِيُّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَسْأَلُ مِنْ عِبَادِهِ أَسْهَلَ مِنْ هٰذَا» وَيَقُوْلُ: «يَا عَبْدِي مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ حَتَّى عَصَيْتَ أَمْرِيْ».

وَرُوِيَ لَمَّا قُرِئَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ[1]، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ «مَا غَرَّنِي بِرَبِّي اِلَّا جَهْلِي»، وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ[2] رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى: «لَوْ سَأَلَنِي رَبِّي مَا غَرَّكَ؟ اَقُوْلُ: غَرَّنِي سَتْرُكَ» وَقَالَ اَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ[3] رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى: «لَوْ سَأَلَنِي رَبِّي مَا غَرَّكَ؟ اَقُوْلُ: غَرَّنِي كَرَمُكَ».

فَنَرْجِعُ اِلَى رَأْسِ هٰذَا الْكَلَامِ وَالْآيَةِ، وَلَمَّا كَانَ الْكُفَّارُ لَا يُقِرُّوْنَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى قَالَ ﴿وَاٰيَةٌ لَّهُمُ الْاَرْضُ الْمَيْتَةُ

(١) لعل اي سورة الإنفطار: ٦ وهي «يَاَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْم»

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو على التميمي اليربوعي الخراساني أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري لقب بعابد الحرمين (١٠٧-١٨٧هـ)

(٣) أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذي ويلقب بالحكيم، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري أصله من ترمذ وسكن بلخ، له كتب مشهورة في التصوف والمعاملات والأدب وقد أسند الحديث توفي عام ٢٤٠هـ.

﴿اَحْيَيْنٰهَا وَاَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُوْنَ۝٣٣﴾ أَحْيَيْنَاهَا بِالْمَطَرِ، فَخَرَجَ مِنْهَا الْحِنْطَةُ وَالشَّعِيْرُ وَسَائِرُ الْحُبُوْبِ فَمِنْ بَعْضِ الْحُبُوْبِ يَأْكُلُوْنَ، وَهٰذِهِ الْآيَةُ دَلِيْلٌ لِلْعِبَادِ بِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِإِخْرَاجِ الْحُبُوْبَاتِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلى إِخْرَاجِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُوْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيْكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا فِيْهَا جَنّٰتٍ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّاَعْنَابٍ وَّفَجَّرْنَا فِيْهَا مِنَ الْعُيُوْنِ۝٣٤ لِيَأْكُلُوْا مِنْ ثَمَرِهٖ﴾ أَي مِنْ ثَمَرِهِ الْحَاصِلِ مِنَ الْمَاءِ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ اَيْدِيْهِمْ﴾ قَرَأَ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكِسَائِيُّ(١) وَاَبُوْ بَكْرٍ(٢) بِغَيْرِ هَاءٍ وَالْآخَرُوْنَ «عَمِلَتْهُ» بِالْهَاءِ عَلَى جَعْلِ «مَا» بِمَعْنَى

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي، نحوي وقارئ للقرآن من أهل الكوفة، ويُعدّ أحد القراء السبعة .لقّب بالكسائي لأنه كان يرتدي كساءً أثناء الإحرام. وقد امتاز بسعة علمه في اللغة العربية وعلوم القرآن. ولد بالكوفة حوالي عام ١٢٠هـ وتوفي بالريّ عام ١٨٩هـ

(٢) هو عاصم بن أبى النُّجود الاسدي وهو عاصم بن بهدلة كان اسم أبى النجود بهدلة كنيته أبو بكر مات سنة ١٢٨ هـ، وكان من أحد القراء السبعة، وتلاميذه الذين رووا عنه فكثيرون عد منهم الذهبي: الأعمش والمفضل بن محمد الضبي وحماد بن شعيب وأبو بكر بن عياش وحفص بن سليمان الكوفي ونعيم بن ميسرة، وأبو عمرو البصري، وكل هؤلاء قرءوا عليه القرآن.

«الَّذِي» أَيْ يَأْكُلُوْنَ مِنَ الَّذِي عَمِلَتْهُ أَيْدِيْهِمْ مِنَ الزَّرْعِ وَالْغَرْسِ وَغَيْرِهِمَا كَالنَّبِيْذِ وَالدِّبْسِ، وَالضَّمِيْرُ عَائِدٌ اِلَى «مَا» الَّتِي بِمَعْنَى الَّذِي، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ ضَمِيْرٍ جَعْلُ «مَا» بِمَعْنَى النَّفْيِ، أَيْ وَجَدُوْهَا مَعْمُوْلَةً، وَلَمْ تَعْمَلْهَا أَيْدِيْهِمْ وَلَا صُنْعَ لَهُمْ فِيْهَا.

وَهٰذَا مَعْنَى قَوْلِ الضَّحَّاكِ[1] وَقَتَادَةَ، قِيْلَ: أَرَادَ الْأَنْهَارَ وَالْعُيُوْنَ الَّتِي لَمْ تَعْمَلْهَا اَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ دَجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَالنِّيْلَ وَنَحْوِهَا ﴿اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ۝٣٥﴾ نِعْمَةَ اللّٰهِ تَعَالىٰ.

فَهٰذِهِ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَوُجُوْدِ الْقِيَامَةِ فَإِنْبَاتُ الزَّرْعِ وَالْحُبُوْبَاتِ مِنَ الْاَرْضِ الْمَيْتَةِ بِالْمَطَرِ فِي الرَّبِيْعِ وَجَعْلُهَا يَابِسَةً فِي الْخَرِيْفِ، دَلِيْلٌ عَلَى اَنَّهُ وَاحِدٌ لَا مَانِعَ وَلَا مُعَارِضَ لَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ۞ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

---

(١) هو الضحّاك بن مزاحم من بني هلال، وكنيته أبو محمد، وقيل أبو القاسم، أصله من بلخ، وكان يقيم بها مدة، وبسمرقند مدة، وببخارى مدة، واشتهر بأن أمه قد حملت به سنتين كاملتين، وقد ولد وله أسنان، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل ١٠٥هـ، وقيل ١٠٦هـ.

قَادِرٌ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ فِي فَصِيْلِ الرَّبِيْعِ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا شُبْهَةَ فِيْهِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّبِيْعَ فَاذْكُرُوْا النُّشُوْرَ وَهُوَ قَدْ شَبَّهَ الرَّبِيْعَ بِالنُّشُوْرِ**».

وَذُكِرَ فِي شَرْحِ هٰذَا الْحَدِيْثِ اَنَّ الرَّبِيْعَ يُشْبِهُ يَوْمَ النُّشُوْرِ مِنْ عَشْرَةِ اَوْجُهٍ:

اَلْأَوَّلُ: اَنَّ الْحُبُوْبَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ فِي الرَّبِيْعِ كَمَا تَخْرُجُ الْمَوْتَى وَالدَّفَائِنُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ يَوْمَ النُّشُوْرِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ «**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**».[1]

وَالثَّانِي: اَنَّ فَصْلَهُ زَمَانُ رَاحَةٍ وَسُرُوْرٍ فِي حَقِّ بَعْضِ النَّاسِ، وَأَمْرَاضٌ وَاَوْجَاعٌ وَآلَامٌ فِي حَقِّ بَعْضِهِمْ، وَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِسُرُوْرٌ فِي حَقِّ الْبَعْضِ غُمُوْمٌ فِي الْبَعْضِ.

وَالثَّالِثُ: اَنَّ مَنْ أَكَلَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ طُعْمَةً يَابِسَةً لَا

(١) سورة الزلزلة: ٢

جَرَمَ فِي فَصْلِ الرَّبِيْعِ يَكُوْنُ وُجُوْدُهُ مَرَضًا وَجَدْرِيًّا وَقُرُوْحًا بِحَرَكَةِ الدِّمَاءِ فِي عُرُوْقِهِ، فَكَذٰلِكَ مَنْ أَكَلَ فِي الدُّنْيَا طَعَامًا حَرَامًا مُشْتَهًى فَيَكُوْنُ يَوْمَ النُّشُوْرِ مُعَذَّبًا وَذَلِيْلًا وَخَائِبًا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ زَرَعَ فِي الْأَرْضِ وَنَشَرَ الْبِذْرَ فِي الرَّبِيْعِ بِالسَّعْيِ وَالْمَشَقَّةِ فَيَكُوْنُ هَالِكًا بِالْبَرَدِ وَالْحَرِّ فَيَكُوْنُ صَاحِبُهُ مَحْرُوْمًا وَمَأْيُوْسًا، فَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِ تَكُوْنُ طَاعَةُ بَعْضِ النَّاسِ هَبَاءً مَنْشُوْرًا بِحَرَارَةِ الْمَعْصِيَةِ اَوْ بِبَرَدِ الْكُفْرِ وَالرِّيَاءِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ النَّاسَ فِي الرَّبِيْعِ فِي شَطِّ نَهْرٍ جَارٍّ يَقْعُدُوْنَ عِنْدَ الْبَسَاتِيْنِ وَالْجِنَانِ مَعَ أَحِبَّائِهِمْ وَاَصْدِقَائِهِمْ، فَكَذٰلِكَ يَجْلِسُوْنَ يَوْمَ النُّشُوْرِ يُحْشَرُ الْخَالِصُوْنَ مَعَ الصَّالِحِيْنَ.

وَالسَّادِسُ: اَنَّ رِيْحَ الشِّمَالِ وَالصَّبَا تَهَبُّ فِي الرَّبِيْعِ فَتَكُوْنُ لِبَعْضِ النَّاسِ مُفِيْدَةً وَلِبَعْضِهِمْ مُضِرَّةً، فَكَذٰلِكَ يَوْمُ

النُّشُوْرِ اِذَا هَبَّتْ رِيْحُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ يَكُوْنُ بَعْضُهُمْ سَعِيْدًا وَبَعْضُهُمْ شَقِيًّا.

وَالسَّابِعُ: اَنَّ بَعْضَ الشَّجَرَةِ فِي الشِّتَاءِ يَكُوْنُ يَابِسًا مِنَ الْأَوْرَاقِ عُرْيَانًا وَفِي الرَّبِيْعِ مُزَيَّنًا فَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِ الْعُبَّادُ وَالزُّهَّادُ يَلْبَسُوْنَ لِبَاسَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَاتِ يَتُوْجُوْنَ بِتَاجِ الْكَرَامَةِ وَيَلْبَسُوْنَ لِبَاسَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَالَّذِيْنَ كَانُوْا كَالشَّجَرِ الْيَابِسِ طَاعَتُهُمْ يَابِسَةٌ مِنْ شَتَّاءِ رِيَاحِ الْمَعَاصِي فَيَكُوْنُوْنَ مَحْرُوْمِيْنَ مِنْ ثِمَارِ الْعِبَادَاتِ وَعَارِيْنَ مِنْ خِلْعَةِ الْإِيْمَانِ فَيَكُوْنُوْنَ مَفْضُوْحِيْنَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ.

وَالثَّامِنُ: اَنَّ الزَّرْعَ اِذَا نَبَتَ فِي الرَّبِيْعِ يَكُوْنُ صَاحِبُهُ مَسْرُوْرًا بِإِنْبَاتِهِ فِي الرَّبِيْعِ وَمَنْ لَمْ يَزْرَعْ يَكُوْنُ نَادِمًا بِعَدَمِ زَرْعِهِ فَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِ اِذَا أُكْرِمَ الْعَابِدُوْنَ بِأُجُوْرِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ فَيَنْدَمُ مَنْ لَمْ يَزْرَعْ بَذْرَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَاتِ.

وَالتَّاسِعُ: اَنَّ مَا زُرِعَتْ فِي فَصْلِ الْخَرِيْفِ تُرْفَعُ فِي

الرَّبِيْعِ ذٰلِكَ الشَّيْئُ فَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِ اِنْ عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا وَجَدْتَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا وَاِنْ شَرًّا فَشَرًّا لِأَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ.

وَالْعَاشِرُ: اَنَّ الرَّبِيْعَ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ أَزْهَارٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَةُ الْأَشْكَالِ مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ فَكَذٰلِكَ يَوْمُ النُّشُوْرِ يَظْهَرُ فِيْهِ الْإِخْلَاصُ وَالتَّوَكُّلُ وَالشَّوْقُ وَالْخَوْفُ وَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ.

فَلِهٰذِهِ الْوُجُوْهِ الْعَشَرَةِ يُشْبِهُ فَصْلُ الرَّبِيْعِ يَوْمَ النُّشُوْرِ.

﴿سُبْحٰنَ الَّذِيْ خَلَقَ الْاَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ وَمِنْ اَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ﴿٣٦﴾﴾ اَلْمُرَادُ مِنَ «الْأَزْوَاجِ» الْأَصْنَافُ، وَ«مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» الْأَثْمَارُ وَالْحُبُوْبَاتُ، وَ«مِنْ اَنْفُسِهِمْ» الذُّكُوْرُ وَالْإِنَاثُ، وَ«مِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ» دَوَابُّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى اَلْمُرَادُ «مِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ» مَا خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالٰى فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ.

وَذُكِرَ فِي تَفْسِيْرٍ آخَرَ لِلشَّيْخِ الْوَاحِدِي[١]: اَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ خَلَقَ اَلْفَ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ فَسِتُّمِائَةٍ مِنَ الْأَلْفِ فِي الْبَحْرِ وَاَرْبَعُمِائَةٍ فِي الْبَرِّ وَلَا تُشْبِهُ صُوَرُ بَعْضِهَا الْبَعْضَ وَلَا لُغَةُ بَعْضِهَا الْبَعْضَ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ فِي سُوْرَةِ الرُّوْمِ «**وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاَلْوَانِكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِيْنَ**»[٢] أَيْ خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالىٰ الْخَلْقَ زَوْجًا لِأَفْرَادٍ خَلَقَ السَّمَاءَ زَوْجًا مَعَ الْأَرْضِ وَخَلَقَ الْجَنَّةَ زَوْجًا مَعَ النَّارِ وَخَلَقَ الشَّمْسَ زَوْجًا مَعَ الْقَمَرِ وَخَلَقَ الدُّنْيَا زَوْجًا مَعَ الْآخِرَةِ وَخَلَقَ اللَّيْلَ زَوْجًا مَعَ النَّهَارِ وَخَلَقَ الْعِلْمَ زَوْجًا مَعَ الْعَمَلِ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ زَوْجًا رِجَالًا وَنِسَاءً وَخَلَقَ الشِّتَاءَ زَوْجًا لِلصَّيْفِ فَخَالِقُ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُوْرَةِ مُنَزَّهٌ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيْكِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (توفي ٤٦٨ هـ)، هو عالم بالتفسير وأسباب النزول والعربية والتاريخ.

(٢) سورة الرّوم: ٢٢

وَذُكِرَ فِي تَفْسِيْرٍ آخَر، اَلْمُرَادُ «مِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ» أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ وَرَاءَ جَبَلِ قَافٍ[1] سَبْعِيْنَ جَبَلًا مِثْلَ جَبَلِ قَافٍ وَوَرَاءَ الْجِبَالِ أَرْضًا بَيْضَاءَ كَالْفِضَّةِ بُرَاقَةً كَالزُّجَاجَةِ وَفِي تِلْكَ الْأَرْضِ نَوْعٌ مِنَ الْمَخْلُوْقَاتِ لَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْمَخْلُوْقِ وَلَا يَعْرِفُوْنَ بَنِي آدَمَ وَلَا يَعْرِفُهُمْ بَنُو آدَمَ، وَقَالَ ﷺ : «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَرَاءَ جَبَلِ قَافٍ مَدِيْنَةً مَمْلُوْءَةً مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوْا: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَرَانَا وَجْهَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَآمَنُوْا بِيْ وَعَلَّمْتُهُمْ أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ سَأَلْتُ عَنْهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوْا: يَا مُحَمَّدُ نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ، فَلَمَّا مَاتَ مُوْسَى عليه السلام وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيْلَ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فَقَتَلُوْا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةً وَاَرْبَعِيْنَ نَبِيًّا وَبَعْدَ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ**

(١) هو كما في كتاب «عرائس المجالس» للثَّعْلَبِيّ أَنَّ اللهَ خلقَ جبلَ قاف من زبرجدةٍ خضراء، وجعلَه جَبَلًا عظيمًا، مُحيطًا بالأَرضِ كُلِّها، وفي كتابِ «قصص الأَنبياء» هو نفسهُ «عرائسُ المجالس» للثَّعْلَبِيّ - أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ سلام رضي الله عنه سأَلَ رسولَ الله ﷺ عن أعلى جبل في الأَرض؟ فأَخبره أَنه جبلُ قاف، وأَنَ ارتفاعَه مسيرةُ خمسمِئة سنة، وأَنَّ طولَه مسيرةُ أَلفي سنة، وأَنه مخلوقٌ من زمردٍ أَخضر.

ظَهَرَ مِائَتَا رَجُلٍ عَابِدٍ زَاهِدٍ وَأَمَرُوْا النَّاسَ بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِي ذٰلِكَ قَتَلَهُمْ بَنُوْا إِسْرَائِيْلَ فَظَهَرَ بَيْنَهُمْ فَسَادٌ عَظِيْمٌ وَنَحْنُ خَرَجْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَجِئْنَا اِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَدَعَوْنَا اللّٰهَ تَعَالىٰ اَنْ يُخْلِصَنَا مِنْ فَسَادِهِمْ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَدْعُوْ وَنَتَضَرَّعُ ظَهَرَتْ ثَقْبَةٌ فِي الْأَرْضِ فَوَقَعْنَا فِيْهَا وَكُنَّا تَحْتَ الْأَرْضِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَبَعْدَ ذٰلِكَ خَرَجْنَا اِلَى هٰذَا الْمَكَانِ، وَكَانَ مُوْسٰى عليه السلام قَدْ وَصَّانَا اِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ فَسَلِّمُوْا عَلَيْهِ مِنِّي، فَقَالُوْا: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَرَانَا وَجْهَكَ فَعَلِّمْنَا الْقُرْآنَ فَعَلَّمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَأَدَاءَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَسَائِرَ الْأَحْكَامِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُ بُيُوْتَهُمْ بِلَا بَابٍ وَسَأَلْتُ عَنْ سَبَبِهِ؟ فَقَالُوْا: نَحْنُ لَا يَخَافُ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُ جُدُرَ بُيُوْتِهِمْ مُسْتَوِيَةً فَسَأَلْتُ عَنْ سَبَبِهِ؟ فَقَالُوْا: نَحْنُ فِي الْقَلْبِ سَوَاءٌ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُ مَسَاجِدَهُمْ بَعِيْدَةً مِنْ بُيُوْتِهِمْ فَسَأَلْتُ عَنْ

سَبَبِهِ؟ فَقَالُوْا: اِنَّ ثَوَابَ مَنْ أَتَى الْمَسْجِدَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ أَزْيَدُ مِنْ ثَوَابِ مَنْ أَتَاهُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيْبٍ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُ مَقَابِرَهُمْ عِنْدَ اَبْوَابِ بُيُوْتِهِمْ فَسَأَلْتُ عَنْ سَبَبِهِ؟ فَقَالُوْا: حَتَّى نَرَى الْمَقَابِرَ فَلَا نَمِيْلُ وَلَا نَشْتَغِلُ بِالدُّنْيَا وَلَا نَنْسَى الْمَوْتَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُهُمْ لَا يَضْحَكُوْنَ فَسَأَلْتُ عَنْ سَبَبِهِ؟ فَقَالُوْا: اِنَّ الضَّحْكَ يُسَوِّدُ الْقَلْبَ فَلِذٰلِكَ لَا نَضْحَكُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: سَأَلْتُ عَنْهُمْ هَلْ تَكُوْنُوْنَ مَرْضَى قَالُوْا: اَلْمَرَضُ كَفَّارَةُ الذُّنُوْبِ فَنَحْنُ لَا نُذْنِبُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَسَأَلْتُ عَنْهُمْ هَلْ تَزْرَعُوْنَ قَالُوْا: نَعَمْ، نَزْرَعُ وَنُسَلِّمُ اِلَى اللّٰهِ اِلَى وَقْتِ الْحَصَادِ فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ فَنَذْهَبُ بِالْإِتِّفَاقِ وَنَجْمَعُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَنَأْتِي مِنْهُ قَدْرَ مَا نَحْتَاجُ اِلَيْهِ وَنُخَلِّي الْبَاقِيَ هُنَاكَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: هَلْ فِيْكُمْ أَنْعَامٌ قَالُوْا: نَعَمْ، أَنْعَامُنَا فِي الصَّحْرَاءِ فَمَتَى لَزِمْنَا نَأْتِيْ مِنْهَا قَدْرَ مَا نَحْتَاجُ اِلَيْهِ وَنُخَلِّي الْبَاقِيَ فِي الصَّحْرَاءِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَأَيْتُ وُجُوْهَهُمْ مُصْفَرَّةً فَقُلْتُ: لَمْ تَكُوْنُوْا مَرْضَى فَلِمَ

اصْفَرَّتْ وُجُوْهُكُمْ، قَالُوْا: هٰذَا مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَسَأَلْتُهُمْ هَلْ يَكْثُرُ فِيْكُمُ الْمَوْتُ كَمَا يَكْثُرُ فِيْنَا؟ قَالُوْا: نَعَمْ، فِي كُلِّ سَنَةٍ جَنَازَةٌ».

فَفِي عَالَمِ الْغَيْبِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَثِيْرٌ لَا يَعْرِفُهُمْ أَحَدٌ سِوَى اللّٰهِ تَعَالىٰ، وَفِي تَفْسِيْرِ الشَّيْخِ[1] أَنَّ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ سَمَاءً وَاَرْضًا وَجِبَالًا وَبِحَارًا وَعَرْشًا وَكُرْسِيًّا وَشَمْسًا وَقَمَرًا وَنُجُوْمًا، وَهٰذَا الْعَالَمُ عِنْدَ عَالَمِ الْغَيْبِ كَالْقِطْرَةِ مِنَ الْبَحْرِ، كَمَا رُوِيَ: **أَنَّ وَاحِدًا مَاتَ وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَنَازَتِهِ وَذَهَبَ بِجَنَازَتِهِ اِلَى قَبْرِهِ وَدُفِنَ فَرَجَعَ اِلَى بَيْتِهِ فَقَامَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَمَسَّتْ بِيَدِهَا عِمَامَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَتْ: «يَا عَجَبًا بَلَّتْ عِمَامَتُكَ وَثَوْبُكَ مِنَ الْمَطَرِ» وَفِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ فِيْهِ مَطَرٌ، فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا رَأَتْ مَطَرَ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَقَالَ ﷺ: «اَلْيَوْمَ بِمَ غَطَّيْتِ رَأْسَكِ»، قَالَتْ: «غَطَّيْتُ رَأْسِي**

(١) اي تفسير الشيخ الواحدي

بِرِدَائِكَ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ ذٰلِكَ الرِّدَاءُ قَدْ رُفِعَ عَنْ بَصَرِكِ الْحِجَابُ فَرَأَيْتِ مَطَرَ عَالَمِ الْغَيْبِ»، وَقَالَ ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ وَفِي عَالَمِ الْغَيْبِ مَطَرٌ وَغَمَامَةٌ وَشَمْسٌ وَقَمَرٌ لَا يَرَاهَا اِلَّا الْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُوْنَ»**.

وَقَوْلُهُ تَعَالٰى «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ» اِشَارَةٌ اِلَى هٰذِهِ الْمَذْكُوْرَاتِ ﴿**وَاٰيَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَاِذَا هُمْ مُّظْلِمُوْنَ**﴿٣٧﴾﴾ أَي يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا اَنَّا نَنْزِعُ الْيَوْمَ مِنَ اللَّيْلِ فَهُمْ دَاخِلُوْنَ فِي الظُّلْمَةِ وَمَعْنَاهُ نَذْهَبُ بِالنَّهَارِ وَنَجِيْءُ بَاللَّيْلِ وَذٰلِكَ اَنَّ الْاَصْلَ هِيَ الظُّلْمَةُ وَالنَّهَارُ دَاخِلٌ عَلَيْهَا فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ سُلِخَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَظْهَرُ الظُّلْمَةُ، فَعُلِمَ مِنْ هٰذَا اَنَّ اللَّيْلَ أَصْلٌ وَالنَّهَارُ فَرْعٌ.

فإِنْ قِيْلَ اللَّيْلُ أَفْضَلُ أَمِ النَّهَارُ؟ الْجَوَابُ: اللَّيْلُ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّهَارُ مِنَ النَّارِ.

لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْآثَارِ: **«أَنَّ فِي الْجَنَّةِ نُوْرًا وَظُلْمَةً وَجَمَعَ**

اللّٰهُ ظُلْمَةَ الْجَنَّةِ فَخَلَقَ مِنْهَا اللَّيْلَ فَلَمْ تَبْقَ فِي الْجَنَّةِ ظُلْمَةٌ وَجَمَعَ اللّٰهُ نُوْرَ جَهَنَّمَ وَخَلَقَ مِنْهُ النَّهَارَ فَلَمْ يَبْقَ فِي جَهَنَّمَ نُوْرٌ فَكُلُّهَا ظُلْمَةٌ»

فَالنَّهَارُ مَحَلُّ الْمَعْصِيَةِ وَاللَّيْلُ مَحَلُّ الْإِسْتِغْفَارِ وَالْعُذْرِ وَالنَّدَامَةِ، وَاللَّيْلُ يَسْتُرُ الْعُيُوْبَ وَالنَّهَارُ يَكْشِفُ الْعُيُوْبَ، فَاللَّيْلُ سَيْرُ الْعَاشِقِيْنَ اِلَى اللّٰهِ، يَا لَيْتَ أَوْقَاتُهَا تَدُوْمُ وَالنَّهَارُ سُوْقُ اَهْلِ الدُّنْيَا وَاللَّيْلُ سُوْقُ اَهْلِ الْآخِرَةِ، أَ مَا عَلِمْتَ اَنَّ اِبْرَاهِيْمَ عليه السلام لَبِسَ خِلْعَةَ الْخُلَّةِ فِي اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَاٰى كَوْكَبًا**»[1]

وَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتَ تَسْبِيْحِ يُوْنُسَ عليه السلام فِي بَطْنِ الْحُوْتِ فِي اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**فَنَادٰى فِى الظُّلُمٰتِ اَنْ لَّآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنْتَ سُبْحٰنَكَ اِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِيْنَ**»[2]

(١) سورة الأنعام: ٧٦

(٢) سورة الأنبياء: ٨٧

وَمُوْسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي جَبَلِ طُوْرِسِيْنَاءَ[١] سَكْرَانَ مِنْ مَحَبَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَجَعَلَ يَرْقُصُ مِنْ شَوْقِهِ وَكَانَتْ هٰذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى «**وَوٰعَدْنَا مُوْسٰى ثَلٰثِيْنَ لَيْلَةً**»[٢]

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَلَغَ مَنْزِلَةً رَفِيْعَةً وَهِيَ قَابُ قَوْسَيْنِ فِي اللَّيْلِ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى «**سُبْحٰنَ الَّذِيْٓ اَسْرٰى بِعَبْدِه لَيْلًا**»[٣]

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالٰى فِيْهَا خَيْرًا اِلَّا أَعْطَاهُ اِيَّاهُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»[٤]

---

(١) فيقع جبل الطور في سيناء من ارض مصر، وأكثر المفسرين على أنَّ المقصود بطور سيناء هو جبل الطور بخصوصه، لا كل أرض سيناء .قال شيخ المفسرين الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن) :قوله: «تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» يقول: تخرج من جبل يُنبِت الأشجار .اهـ. وقال القاضي البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في تفسير الآية السابقة :ومما أنشأنا لكم به شجرة؛ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة .اهـ. ويحتمل أن يكون المقصود بطور سيناء هو سيناء نفسها، لا خصوص الجبل. قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل): وطور سينين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمّا أن يكون اسمًا للجبل .اهـ.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢

(٣) سورة الإسراء: ١

(٤) وفي صحيح مسلم (١٢٥٩) « إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «اِذَا ذَهَبَ ثُلُثَانِ مِنَ اللَّيْلِ يَنْزِلُ مَلَكٌ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُصْبِحُ، وَيَقُوْلُ: هَلْ مِنْ صَاحِبِ حَاجَةٍ وَهٰذَا الْوَقْتُ وَقْتُ قَبُوْلِ الْحَاجَةِ».

وَكَمَا قَالَ ﷺ «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ عَادَةُ الصَّالِحِيْنَ الْمُتَقَدِّمِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَهٰذِهِ الْخَصْلَةُ تُقَرِّبُكُمْ اِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ وَكَفَّارَةُ ذُنُوْبِكُمْ»[1]

وَكَانَ ﷺ يَقُوْمُ وَيَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ، قِيْلَ: «يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ قَدْ غَفَرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَلِمَ تَتَحَمَّلُ هٰذِهِ الْمَشَقَّةَ فِي الطَّاعَاتِ». فَقَالَ ﷺ «أَفَلَا أَكُوْنُ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ عَلَى مَا اَنْعَمَ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَلَيَّ فَأَوْجَدَنِي مِنَ الْعَدَمِ اِلَى الْوُجُوْدِ أَفَلَا أَشْكُرُ؟ وَأَعْطَانِيَ اللّٰهُ تَعَالىٰ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ وَالْفَهْمَ وَالنُّبُوَّةَ أَفَلَا أَشْكُرُ؟

(١) وفي رواية الترمذي (٣٥٤٩) عن بلال: أن رسول الله ﷺ قال:«عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ».

وَاَعْطَانِيَ التَّوْفِيْقَ اِلَى الطَّاعَاتِ أَفَلَا أَشْكُرُ؟ وَقُبِلَ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي فَيَآ اَيُّهَا الْعَاقِلُوْنَ هَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا حَسْرَتَاهْ لِمَنْ ضَيَّعَ اللَّيْلَ بِالْغَفْلَةِ وَيَا نَدَامَتَاهْ لِمَنْ أَذْهَبَ النَّهَارَ بِالْمَعْصِيَةِ، أَلَا اِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى لَا يَحْرِقُ صَاحِبَ الْعَيْنَيْنِ، عَيْنٍ تَبْكِي فِي اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَعَيْنٍ لَا تَنَامُ مِنَ السَّهْرِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى»

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ ۝٣٨﴾ اَي تَسِيْرُ اِلَى مُسْتَقَرٍّ لَهَا، وَقِيْلَ: إِنْتِهَاءُ سَيْرِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَقِيَامِ السَّاعَةِ. وَقِيْلَ: سَيْرُهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ اِلَى اَبْعَدِ مَنَازِلِهَا ثُمَّ تَرْجِعُ، فَذٰلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا لِأَنَّهَا لَا تَتَجَاوَزُهُ. وَقِيْلَ: مُسْتَقَرُّهَا نِهَايَةُ ارْتِفَاعِهَا فِي السَّمَاءِ فِي الصَّيْفِ وَنِهَايَةُ هُبُوْطِهَا فِي الشِّتَاءِ تَجْرِي الشَّمْسُ حَتَّى تَنْتَهِيَ اِلَى مُسْتَقَرِّهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلشَّمْسِ ثَلَثَمِائَةٍ وَسِتِّيْنَ مَنْزِلًا، مِائَةً وَثَمَانِيْنَ فِي الشِّتَاءِ وَمِائَةً وَثَمَانِيْنَ فِي الصَّيْفِ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ مِنْ مَنْزِلٍ

حَتَّى تَنْتَهِيَ اِلَى مَنَازِلِ الصَّيْفِ وَبَعْدَهُ تَدْخُلُ اِلَى مَنَازِلِ الشِّتَاءِ فَتَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَنْزِلٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ اِلَى مَنْزِلِ الشِّتَاءِ، هٰذَا تَمَامُ مَنَازِلِ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَذٰلِكَ ثَلَثُمِائَةٍ وَسِتُّوْنَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، فَتَدُوْرُ الشَّمْسُ فِي سَنَةٍ كُلَّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ اِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ فَيَكُوْنُ كُلُّ دَوْرِهَا بِتَقْدِيْرِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ اَيْ لَا يُعْجِزُهُ إِيْجَادُ شَيْءٍ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ جَعَلَ اللّٰهُ تَعَالىٰ لِلشَّمْسِ مُسْتَقَرًّا حَتَّى تَتِمَّ مَصَالِحُ عِبَادِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مُسْتَقَرُّ الشَّمْسِ يَكُوْنُ فِي الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ حِيْنَ تَقُوْمُ الْقِيَامَةُ تَبْقَى الشَّمْسُ فِي مَكَانٍ وَيَذْهَبُ نُوْرُهَا فَتَبْقَى بِلَا نُوْرٍ. كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ[1] رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ

(١) هو جندب بن جنادة الغفاري، وقيل: جندب بن سكن، وقيل: برير بن جنادة، وقيل: برير بن عبد الله، المتوفّىٰ سنة ٣١هـ او ٣٢هـ ، هوصَحابي من السابقين إلى الإسلام، قيل: إنَّه رابع أو خامس من دخل في الإسلام، عدّ بقي بن مخلد في مسنده ٢٨١ حديثًا لأبي ذر، اتفق البخاري ومسلم على اثني عشرحديثًا منها، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر حديثًا، كما روى له الجماعة في كتبهم.

رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ: «يَوْمًا حِيْنَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي اَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ؟ قُلْتُ: اَللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ اِنَّهَا تَغْرُبُ وَتَذْهَبُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنُ أَنْ تَسْجُدَ لِلّٰهِ تَعَالٰى فَيُأْذَنُ لَهَا ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ اَنْ لَا تَطْلُعَ اِلَى الدُّنْيَا لِمَا رَأَتْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، بَلْ يُقَالُ لَهَا: «اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ تَطْلُعِي» فَتَطْلُعُ مِنْ مَشْرِقِهَا، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالٰى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا»[1] وَعَلَى هٰذَا الطَّرِيْقِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا اِذَا كَانَ وَقْتُ الْقِيَامَةِ قَرِيْبًا وَظَهَرَ الْفِسْقُ وَالْفُجُوْرُ وَكَثُرَتِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوْبُ عَلَى الْأَرْضِ وَرَفَعَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَضَعُفَتْ

(١) وفي رواية البخاري (٤٨٠٢) «كُنْتُ مع النبيِّ ﷺ في المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقالَ: يا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ»

وفي رواية مسلم (١٥٩) «قالَ النَّبيُّ ﷺ لأبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أتَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ، فيُؤْذَنُ لَهَا، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فلا يُقْبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِهَا، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»

أَحْكَامُ الشَّرِيْعَةِ

فَفِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ تَسْجُدُ الشَّمْسُ تَحْتَ الْعَرْشِ مِقْدَارَ لَيْلٍ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا اَنْ تَطْلُعَ وَالْقَمَرُ كَذٰلِكَ يَجِيْئُ اِلَى مَكَانِ الشَّمْسِ فَيَمْكُثَانِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ مِقْدَارَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَطُوْلُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَا يَعْرِفُهُ اِلَّا الْمُتَهَجِّدُوْنَ فَإِذَا اَيْقَظُوْا مِنْ نَوْمِهِمْ قَامُوْا اِلَى اَدَاءِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالذِّكْرِ وَالْأَوْرَادِ وَأَدُّوْا وَظَائِفَ عِبَادَتِهِمْ كَمَا يَفْعَلُوْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ وَنَظَرُوْا اِلَى النُّجُوْمِ وَالْكَوَاكِبِ وَهِيَ عَلَى حَالِهَا، وَخَافُوْا مِنْ هٰذِهِ الْعَلَامَةِ وَأَيْقَنُوْا أَنَّ هٰذِهِ مِنْ عَلَامَةِ الْقِيَامَةِ فَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاجْتَمَعُوْا فِي الْمَسَاجِدِ يَتَضَرَّعُوْنَ اِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ وَيَبْكُوْنَ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَمِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ يُوْجَدُ فِي كُلِّ بِلَادٍ وَلٰكِنَّهُمْ قَلِيْلٌ وَبَيْنَ النَّاسِ ذَلِيْلٌ فَقِيْرٌ لَا اعْتِبَارَ لَهُمْ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ.

فَلَمَّا تَمَّ مِقْدَارُ ثَلَاثِ لَيَالٍ أَمَرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ الشَّمْسَ اَنِ ارْجِعِي اِلَى الْمَغْرِبِ فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ عُلِمَ

أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ فَيَبْكِيَانِ وَيَتَضَرَّعَانِ اِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ وَمِنْ بُكَائِهِمَا يَبْكِي أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّبْعُ السُّرَادِقَاتِ.(١)

فَلَمَّا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا اِنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا سَمِعَ هٰذَا النِّدَاءَ أَهْلُ الْأَرْضِ بَكَوْا وَتَضَرَّعُوْا وَنَظَرُوْا اِلَى السَّمَاءِ فَذَهَبَ نُوْرُهُمَا وَصَارَا كَالطَّشْتِ وَاجْتَمَعَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ «**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**»(٢)

وَفِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُ الْبُكَاءُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا جَاءَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ جَاءَ جِبْرَائِيْلُ عليه السلام بِأَمْرِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَرَدَّهُمَا بِجَنَاحَيْهِ اِلَى الْمَغْرِبِ، وَفِي الْمَغْرِبِ بَابٌ، يُقَالُ لَهُ: بَابُ التَّوْبَةِ، وَطُوْلُ ذٰلِكَ الْبَابِ مَسِيْرَةُ سَبْعِيْنَ سَنَةً فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ تَغْرُبَانِ فِي ذٰلِكَ الْبَابِ ثُمَّ أُغْلِقَ بَابُ

(١) يُقصد بالسرادقات السبع حجب نورانية تحيط بعرش الرحمن، وهي من الأمور الغيبية التي ورد ذكرها في بعض الأحاديث النبوية وكتب التراث الإسلامي.

(٢) سورة القيامة: ٩

التَّوْبَةِ وَالنَّدَامَةِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنَ الْمَشْرِقِ كَمَا كَانَا اِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَلٰكِنِ الْقِيَامَةُ تَظْهَرُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فِي زَمَانٍ قَلِيْلٍ حَتَّى قِيْلَ: اِذَا وَلَدَتْ فَرْسُ اَحَدٍ قَبْلَ اَنْ يُرْكَبَ حَمْلُهَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنٰهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ﴾ اَي قَدَّرْنَا لَهُ مَنَازِلَ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيْرٍ(١) وَنَافِعٌ(٢) وَاَهْلُ بَصْرَةَ(٣) «**وَالْقَمَرُ**» بِالرَّفْعِ، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى«**وَاٰيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ**»، والْآخَرُوْنَ بِالنَّصْبِ لِقَوْلِهِ «**قَدَّرْنَاهُ**» اَيْ «**قَدَّرْنَا الْقَمَرَ مَنَازِلَ**»(٤)، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سُوْرَةِ يُوْنُسَ. اِذَا

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي، مُحدّث ومفسر وفقيه(٧٠١-٧٧٤هـ/ ١٣٠١-١٣٧٣م)

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني، الإمام حبر القرآن وأحد القراء العشرة وإمام القراء في المدينة النبوية، أصله من أصفهان ولد في حدود ٧٠ هـ وتوفي في المدينة المنورة عام ١٦٩هـ.

(٣) تاريخ علم القراءات في البصرة تُعد البصرة من أهم مدارس القراءات في البلاد الإسلامية، فقد نشأت على يد الصحابي أبي موسى الأشعري، عندما جمع الخليفة عثمان بن عفان الناس على حرف واحد، وأرسل إلى جميع الأمصار مصحفًا من مصاحفه التي نسخها من مصحف الخليفة أبي بكر، وأرسل معه قارئًا يقرئ الناس بما فيه، فأرسل إلى البصرة مصحفًا، ومعه عامر بن عبد القيس، ليقرئ الناس بما فيه.

(٤) سورة يونس: ٥

صَارَ الْقَمَرُ اِلٰى آخِرِ مَنَازِلِهِ دَقَّ فَيَصِيْرُ ﴿كَالْعُرْجُوْنِ الْقَدِيْمِ ﴿٣٩﴾﴾ وَهُوَ عُوْدُ الْعَذْقِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّمَارِيْخُ فَشُبِّهَ الْقَمَرُ فِي دِقَّتِهِ وَصِغَرِهِ فِي آخِرِ الْمَنَازِلِ بِالْعُرْجُوْنِ، وَالْمُرَادُ بِالْقَدِيْمِ الْعَتِيْقُ.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ لَهَآ اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أَي لَا يَدْخُلُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ بَلْ هُمَا يَتَعَاقَبَانِ بِحِسَابٍ مَعْلُوْمٍ لَا يَجِيْئُ اَحَدُهُمَا قَبْلَ وَقْتِهِ، وَقِيْلَ: لَا يَدْخُلُ اَحَدُهُمَا فِي سُلْطَانِ الْآخَرِ فَإِذَا اجْتَمَعَا اَيْ فَإِذَا أَدْرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ قَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَقِيْلَ: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ لَهَآ اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» أَي لَا تَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ ﴿وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِيْ فَلَكٍ يَّسْبَحُوْنَ ﴿٤٠﴾﴾ أَي لَا يَتَّصِلُ اللَّيْلُ بِلَيْلٍ بَلْ يَكُوْنُ بَيْنَهُمَا نَهَارٌ فَاصِلٌ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَلَكٌ عَظِيْمٌ يَجْرِيْ فِي ذٰلِكَ كَمَا تَجْرِي الْحِيْتَانُ فِي الْبَحْرِ. وَاعْلَمْ، أَنَّ عَظِيْمَ الشَّمْسِ مِائَةٌ وَسَبْعُوْنَ مِثْلُ عَظْمِ الْأَرْضِ، وَعَظْمُ الْقَمَرِ سَبْعُوْنَ مِثْلُ عَظْمِ الْأَرْضِ، وَكَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي اللَّوْنِ فِي ابْتِدَاءِ الْخِلْقَةِ فَلَمْ يَتَمَيَّزِ

اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، فَأَمَرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ جِبْرَائِيْلَ عليه السلام فَأَتَى وَمَسَحَ وَجْهَ الْقَمَرِ فَصَارَ نُوْرُهُ نَاقِصًا وَالسَّوَادُ الَّذِي يُرَى فِي وَجْهِ الْقَمَرِ يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَثَرِ جَنَاحِهِ عليه السلام وَزَادَ نُوْرُ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ «فَمَحَوْنَآ اٰيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»[1] الآيَةَ. فَخَلَقَ الْقَمَرَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا وَخَلَقَ الشَّمْسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي فِي فَلَكِهِ يَجْتَمِعَانِ قُرْبَ الْقِيَامَةِ كَمَا بَيَّنَّاهُ ﴿وَاٰيَةٌ لَّهُمْ اَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ[2] وَأَهْلُ الشَّامِ[3] وَيَعْقُوْبُ[4] «ذُرِّيَّاتِهِمْ» بِالْجَمْعِ، وَمَنْ لَمْ يَجْمَعْ

(١) سورة الإسراء: ١٢

(٢) علم القراءات في المدينة هو أقدم تواريخ القراء والقراءات عند المسلمين، وقد كانت نشأتها على يد رسول الله محمد ﷺ. وتوسعت لتشمل الصحابة والتابعين الذين تلقوا القراءة جيلاً بعد جيل. والإمام نافع هو أبرز من حمل هذه القراءة في المدينة، وتلقاها عن سبعين تابعياً. الإمام مالك وصف قراءته بأنها سنة، وأصبحت تُعرف بروايتي قالون وورش عن نافع، وهي من الروايات المتداولة اليوم.

(٣) واما قراء الشام وعلى رأسهم شيخهم ابن عامر، فمن جاء بعده أخذوا بقراءة عثمان، مع أن قراءة ابن عامر قد تكون قد تأثرت بصحابة آخرين كأبي الدرداء وفضالة وواثلة وغيرهم، وربما بأداء نافع، لكن الغالب عليها خاصة في الفرش هي قراءة عثمان.

(٤) ابو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ويعرف اختصارا بيعقوب الحضرمي أو يعقوب القارئ (١١٧-٢٠٥هـ/ ٧٣٥-٨٢١م) هو القارئ التاسع ضمن القراء العشرة.

نَصَبَهَا. وَالْمُرَادُ بِالذُّرِّيَّةِ: اَلْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، وَاسْمُ الذُّرِّيَّةِ يَقَعُ عَلَى الْأَوْلَادِ ﴿الْمَشْحُوْنِ ٤١﴾ اَيِ الْمَمْلُوْءِ.

وَالْمُرَادُ بِـ«**الْفُلْكِ**» سَفِيْنَةُ نُوْحٍ[1] عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ نَسْلِ مَنْ حُمِلَ مَعَ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانُوْا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ: اَلْمُرَادُ بِـ«**الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِ**» سَفِيْنَةُ هٰذَا الزَّمَانِ،

(١) **سَفِينَةُ نُوح** أو **فُلْكُ نُوح** عليه السلام هي سفينة صنعها نوح لحماية المؤمنين والحيوانات وجميع الكائنات الحية من الطوفان العظيم بعدما كثر شر الناس، وأنها سفينة صنعها نوح بوحي الله وأمره فيها بأن يحمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات زوجين، ويحمل فيها أهل بيته إلا من سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته، ويحمل فيها من آمن معه من قومه، ليهلك جميع من تبقى من المفسدين من قومه الذين كذبوا رسالته بطوفان عظيم. آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا. وصعد أهله إلا امرأته التي كانت كافرة، واسمها **والهة**، وقيل: **واغلة**، وقيل: **نعمة**، وأحد أبنائه يُعرف باسم **كنعان**، وهو الابن الرابع لنوح، الذي قيل أنه كان يظهر الإيمان أمام والده ويخفي الكفر، وقد نادى نوح ابنه ان يركب معه فلم يجبه وقال أنه سيأوي إلى منطقة عالية لايصلها الماء فحال بين نوح وابنه الماء وغرق بذلك ابنه.

بدأ نوح بصناعة السفينة في الصحراء بينما سخر منه قومه الذين كانوا يمرون عليه. ثم ارسل الرب الطوفان، حيث «**وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»، وظل الماء المتبقي على الأرض«**مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا**» ومع انحسار المياه استقرت السفينة على قمة **جبل أرارات** الذي يقع اليوم على الحدود بين تركيا وروسيا.

وفي ذلك الوقت جرت سفينة نوح وسط الأمواج، وقد استمرّ الطوفان زمنًا لا يُعرَف مقداره، حتى جاء أمر الله بأن تكفّ الأمطار عن الانهمار، وأن تبتلع الأرض ما أخرجته من مياه، وأن ترسو السفينة وتستقرّ على **جبل الجوديّ**، وقد تعدّدت آراء أهل العلم في مكان وجود جبل الجوديّ، قيل: إنّه في ديار بني بكر في الجزيرة بقرب الموصل، قيل: إنّه يقع في ناحيةٍ بقرب الكوفة، قيل: إنّه يقع في منطقة تابعة لتركيا، وهي بجانب الحدود السورية والعراقية.

وَذُرِّيَّاتُهُمْ فِي السَّفِيْنَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ وَلَيْسَ لَهَا يَدٌ وَرِجْلٌ تَقْطَعُ مَسِيْرَةَ عِشْرِيْنَ يَوْمًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ هٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنَا.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهٖ مَا يَرْكَبُوْنَ﴿٤٢﴾﴾ قِيْلَ: أَرَادَ بِهِ السُّفُنَ الَّتِي عُمِلَتْ بَعْدَ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَيْئَتِهَا. وَقِيْلَ: اَرَادَ بِهِ السُّفُنَ الصِّغَارَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْأَنْهَارِ كَالْفُلْكِ الْكِبَارِ فِي الْبَحْرِ، وَهٰذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمَا.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: اَلْمُرَادُ «مِّنْ مِّثْلِهٖ» اَلْإِبِلُ فِي الْبَرِّ كَالسُّفُنِ فِي الْبَحْرِ، يَعْنِي: خَلَقْنَا فِي الْبَحْرِ السُّفُنَ يَرْكَبُوْنَهَا وَخَلَقْنَا لَهُمْ فِي الْبَرِّ الْإِبِلَ وَالْفَرَسَ وَالْبِغَلَ وَالْحِمَارَ يَرْكَبُوْنَهَا وَيَحْمِلُوْنَ اَثْقَالَهُمْ، وَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنَا وَقُوَّتِنَا.

﴿وَاِنْ نَّشَاْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيْخَ لَهُمْ وَلَاهُمْ يُنْقَذُوْنَ﴿٤٣﴾﴾ أَيْ لَا مُغِيْثَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْجَوْنَ مِنَ الْغَرْقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَلَا أَحَدَ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِي ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا اِلٰى حِيْنٍ ﴿٤٤﴾﴾ أَيْ اِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ، يَعْنِي: لَا أَحَدَ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِي اِلَّا أَنْ نَرْحَمَهُمْ اِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ.

﴿وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّقُوْا مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴿٤٥﴾﴾ اَلْمُرَادُ بِـ«مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ» اَلدُّنْيَا، يَعْنِي: إِحْذَرُوْهَا وَلَا تَقْرَبُوْهَا. وَقِيْلَ: «مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ» مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَمَا خَلْفَكُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَمُقَاتِلٍ[1]. وَجَوَابُ «اِذَا» مَحْذُوْفٌ تَقْدِيْرُهُ: اِذَا قِيْلَ لَهُمْ هٰذَا أَعْرَضُوْا بِدَلِيْلِ مَا بَعْدَهُ، يَعْنِي: اِذَا قِيْلَ لِلْكُفَّارِ: اِتَّقُوْا مَا بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنَالُوْنَ رَحْمَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَتَكُوْنُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، يُعْرِضُوْنَ بِوُجُوْهِهِمْ وَلَا يَسْمَعُوْنَ

(١) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي والأزدي بالولاء (٧٠-١٥٠هـ/ ٦٨٩-٧٦٧م) هو من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى تفسير مقاتل، أصله من بلخ في خراسان.

كَلَامَ اللّٰهِ تَعَالىٰ. وَقِيْلَ: «**مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ**» مِنَ الذُّنُوْبِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ. وَقِيْلَ: اَلْمُرَادُ مِنْهُمَا الذُّنُوْبُ الظَّاهِرَةُ[١] وَالْبَاطِنَةُ[٢]، وَقِيْلَ: اَلْمُرَادُ «**مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ**» مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ[٣]، «**وَمَا خَلْفَكُمْ**» مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ[٤].

(١) الذنوب الظاهرة او معاصي الجوارح هي كل ما يرتكب بالجوارح والأعضاء المادية، مثل: معاصي العين كالنظر إلى ما حرم الله، ومعاصي اللسان كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور، ومعاصي اليد والرجل كالسرقة، والاعتداء على الآخرين، ومعاصي الأذن كالإستماع إلى ما حرم الله، وغيرها.

(٢) الذنوب الباطنة او معاصي القلب هي ما يتعلق بالنية والقلب ولا تدركه الحواس مباشرة، ومنها: الكبر والعجب بالنفس والحسد والغل والحقد والرياء وحب الدنيا وسوء الظن وغيرها

(٣) العذاب من السماء منه الرِّجْزُ :هو مصطلح قرآني يُطلق على العذاب الذي ينزله الله من السماء على الكافرين والمكذبين. وقد ورد ذكره في سورة البقرة: ٥٩، في قوله تعالى: «**فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**». والصاعقة أو الصَّيْحَة هي عقاب سماوي أُرسل على بعض الأمم السابقة بسبب كفرهم، كما حدث مع قوم ثمود، والمطر المُهلك في بعض الحالات، يتحول المطر الذي ينزله الله كرحمة إلى عذاب يُهلك الكافرين وغيرها.

(٤) العذاب من الأرض منه الخسف هو من أشد أنواع العذاب الذي يخرج من الأرض، حيث تبتلع الأرض الكافرين والظالمين. ومن أشهر الأمثلة على ذلك خسف قارون الذي تجبر في الأرض، وقد ورد في القرآن سورة القصص: ٨١، قوله تعالى: «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ». والزلازل والبراكين، تعدّ الزلازل والبراكين من أشكال العذاب التي تخرج من الأرض، والتي يمكن أن تكون من علامات الساعة الكبرى. والدابة، خروج الدابة من الأرض هي من علامات الساعة الكبرى، وهي دابة عظيمة تكلم الناس وتبين لهم الحق.

﴿وَمَا تَأْتِيْهِمْ مِّنْ اٰيَةٍ مِّنْ اٰيٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أَي دَالَّةٍ عَلَى رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿اِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ ۝٤٦ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اَنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ﴾ أَي اِذَا قِيْلَ لِلْكُفَّارِ: «أَنْفِقُوْا مِمَّا أَعْطَاكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ» ﴿قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَنُطْعِمُ﴾ أَي أَنَرْزُقُ ﴿مَنْ لَّوْ يَشَآءُ اللّٰهُ اَطْعَمَهُ﴾ وَذٰلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ قَالُوْا لِكُفَّارِ مَكَّةَ: «أَنْفِقُوْا عَلَى الْمَسَاكِيْنِ مِمَّا رَغِبْتُمْ مِنْ اَمْوَالِكُمْ»، قَالَ الْكُفَّارُ: «أَنَرْزُقُ مَنْ لَوْ يَشَآءُ اللّٰهُ رَزَقَهُ وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ فَنَحْنُ نُوَافِقُ مَشِيْئَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَلَا نُطْعِمُ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ اللّٰهُ تَعَالٰى».

وَهٰذَا مِمَّا يَتَمَسَّكُ بِهِ الْبُخَلَاءُ، يَقُوْلُوْنَ: «لَا نُعْطِي مَنْ حَرَّمَهُ اللّٰهُ رِزْقَهُ» وَزَعْمُهُمْ هٰذَا بَاطِلٌ، لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَغْنَى بَعْضَ خَلْقِهِ وَأَفْقَرَ بَعْضَهُمْ اِبْتِلَاءً فَمَنَعَ الدُّنْيَا مِنَ الْفَقِيْرِ لَا بُخْلًا مِنْهُ وَأَمَرَ الْغَنِيَّ بِالْإِنْفَاقِ لَا لِحَاجَتِهِ اِلَى مَالِهِ بَلْ لِيَبْلُوَ الْغَنِيَّ بِالْفَقِيْرِ فِيْمَا فُرِضَ لَهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ لَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ فِي

مَشِيْئَةِ اللّٰهِ وَحُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ ﴿اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴿٤٧﴾﴾ أَيْ يَقُوْلُ الْكُفَّارُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ: «مَا اَنْتُمْ اِلَّا فِي خَطَإٍ فِي اتِّبَاعِكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَتَرْكِ مَا نَحْنُ فِيْهِ الْأَصَحُّ اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ»، خِطَابٌ مِنْ طَرَفِ اللّٰهِ تَعَالىٰ لِلْكُفَّارِ كَأَنَّهُ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «اَيُّهَا الْكُفَّارُ اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ» اَي بَيِّنٍ، وَتَقُوْلُوْنَ كَلَامًا حَتَّى لَا تُعْطُوا الصَّدَقَةَ لِلْمَسَاكِيْنِ وَتَأْتُوْنَ الْحُجَّةَ أَ مَا عَلِمْتُمْ اَنَّ مَا يَطْلُبُوْنَ مِنْكُمْ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ طَلَبًا فِي الْحَقِيْقَةِ مِنْكُمْ بَلْ يَطْلُبُوْنَ مِنِّي لِأَنَّ الْمَالَ الَّذِي كَانَ فِي اَيْدِيْكُمْ هُوَ مَالِي وَأَنْتُمْ عَبِيْدٌ وَالْعَبْدُ وَمَا يَمْلِكُهُ لِمَوْلَاهُ.

فَلَمَّا قَالَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِلْكُفَّارِ: «لِمَ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَا تُعْطُوْنَ الصَّدَقَةَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنِ فَكَيْفَ يَصِيْرُ حَالُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبِأَيِّ جَوَابٍ تَخْلُصُوْنَ مِنْ اُمُوْرِ الْآخِرَةِ وَالْعَذَابِ؟»

فَقَالَ الْكُفَّارُ فِي جَوَابِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿وَيَقُوْلُوْنَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴿٤٨﴾﴾ أَي فِيْمَا قُلْتُمْ مِنْ اُمُوْرِ الْآخِرَةِ

وَالْعَذَابِ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى مُجِيْبًا لَهُمْ مِنْ طَرَفِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿مَا يَنْظُرُوْنَ اِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُوْنَ﴿٤٩﴾﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: اَلْمُرَادُ مِنَ الصَّيْحَةِ النَّفْخَةُ الْأُوْلَى، اَي يَخْتَصِمُوْنَ فِي اُمُوْرِ الدُّنْيَا مِنَ الْبَيْعِ وِالشِّرَاءِ وَيَتَكَلَّمُوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَجَالِسِ.

قَرَأَ حَمْزَةُ[1] بِسُكُوْنِ الْخَاءِ وَتَخْفِيْفِ الصَّادِ[2]، اَيْ يَغْلِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْخُصُوْمَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُوْنَ بِتَشْدِيْدِ الصَّادِ اَيْ يَخْتَصِمُوْنَ.

وَرُوِيَ اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ رَجُلَانِ ثَوْبَهُمَا يَتَبَايَعَانِهِ فَلَا يَطْوِيَانِهِ بَلْ يَمُوْتُوْنَ فُجْأَةً، وَلَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ قَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ اِلَى فِيْهِ فَلَا يَطْعَمُهَا، وَلَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يُسْقِي مَاشِيَتَهُ وَلَا يَرْفَعُ قَدَمَيْهِ،**

---

(١) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي يكنى بأبي عِمَارة، ولد سنة (٨٠ هـ)، وأدرك الصحابة بالسنِّ، ولعلَّه رأى بعضهم. توفي سنة ١٥٦ هـ بحلوان وعمره ٧٦ سنة.

(٢) اي يَخْصِمُوْنَ.

وَلَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَرْفَعُ الْمِيْزَانَ وَلَا يَخْفَضُهُ».

﴿فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ تَوْصِيَةً﴾ أَيْ لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى الْإِيْصَاءِ ﴿وَّلَآ اِلٰٓى اَهْلِهِمْ يَرْجِعُوْنَ۝٥٠﴾ أَيْ يَنْقَلِبُوْنَ.

يَعْنِي: اِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِيْصَاءِ وَالرُّجُوْعِ وَلَا يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا.

﴿وَنُفِخَ فِى الصُّوْرِ فَاِذَا هُمْ مِّنَ الْاَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ وَهِيَ نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَبَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ اَرْبَعُوْنَ سَنَةً، فِي رِوَايَةٍ «الْاَجْدَاثُ» جَمْعُ جَدَثٍ وَهِيَ الْقُبُوْرُ ﴿اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ۝٥١﴾ أَيْ يُخْرُجُوْنَ مِنَ الْقُبُوْرِ أَحْيَاءً.

وَقِيْلَ لِلْوَلَدِ نَسْلُ فُلَانٍ، اَيْ خَرَجَ مِنْ صُلْبِهِ.

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُوْنَ فِي عَدَدِ نَفْخِ الصُّوْرِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: يُنْفَخُ مَرَّاتٍ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَنَفْخَةُ الصَّعِقِ، وَنَفْخَةُ الْقِيَامِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُنْفَخُ مَرَّتَيْنِ: نَفْخٌ لِلصَّاعِقِ وَنَفْخٌ لِلْقِيَامِ،

دَلِيْلُهُمْ حَدِيْثُ أَبِي هُرَيْرَةَ[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ اَرْبَعُوْنَ»[٢] فَقَالَ شُرَّاحُ الْحَدِيْثِ لَمْ يُعْلَمْ اَرْبَعُوْنَ يَوْمًا اَوْ سَنَةً[٣]، فَدَلِيْلُ مَنْ قَالَ: الصُّوْرُ يُنْفَخُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَوْلُهُ تَعَالىٰ «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ»[٤] الآيَةَ «وَنُفِخَ فِى الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الزهراني الأزدي (٢١-٥٩هـ/ ٦٠٢-٦٧٩م) صحابي محدِّث وفقيه وحافظ أسلم سنة ٧ هـ، ولزم النبي محمداً، وحفظ الحديث عنه، حتى أصبح أكثر الصحابة روايةً وحفظًا للحديث النبوي .لسعة حفظ أبي هريرة، التفّ حوله العديد من الصحابة والتابعين من طلبة الحديث النبوي الذين قدّر البخاري عددهم بأنهم جاوزوا الثمانمئة ممَّن رووا عن أبي هريرة .كما يعد أبو هريرة واحدًا من أعلام قُرّاء الحجاز، حيث تلقّى القرآن عن النبي ﷺ، وعرضه على أبي بن كعب، وأخذ عنه عبد الرحمن بن هرمز. وعن كُنيته «أبو هُريرة» التي اشتهر بها، فقيل أنه وجد هرة برية، فأخذها في كمه، فكُنّي بذلك، وقيل أنه كان يرعى غنمًا لأهله، فكانت له هريرة يلعب بها، فكناه أهله بها. تولى أبو هريرة ولاية البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كما تولى إمارة المدينة من سنة ٤٠ هـ حتى سنة ٤١ هـ .وبعدها لزم المدينة المنورة يُعلّم الناس الحديث النبوي، ويُفتيهم في أمور دينهم، حتى وفاته سنة ٥٩ هـ. روى أبو هريرة أكثر من ٥٣٧٤ حديثًا، وقد اتفق البخاري ومسلم على ٣٢٦ حديثًا منها، وانفرد البخاري بـ ٩٣ حديثًا، وانفرد مسلم بـ ٩٨ حديثًا. ومع حذف الأحاديث المكررة، يتبقى حوالي ١٥٠٠ إلى ١٦٠٠ رواية مختلفة.

(٢) اخرجه البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥)

(٣) لأن النبي ﷺ لا يبين هل هي يوم او شهر او سنة، واذا سئل ابو هريرة فقال: أبيت اي امتنعت عن القول بتعيين ذلك.

(٤) سورة النمل: ٨٧

اِلَّا مَنْ شَآءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ اُخْرٰى فَاِذَا هُمْ قِيَامٌ يَّنْظُرُوْنَ»[١]

اَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ[٢] فَأَصَحُّ لِأَنَّ نَفْخَةَ الصَّعِقِ وَالْفَزَعِ وَاحِدَةٌ، وَدَلِيْلُهُمْ حَدِيْثُ أَبِي سَعِيْدِ الْخُدْرِيِّ[٣] رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اَنَّهُ قَالَ ﷺ: **«كَيْفَ اَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّوْرِ قَدِ الْتَقَمَ الصُّوْرَ وَاضِعًا سَمْعَهُ وَجَنَّى جَبْهَتَهُ يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ، فَقَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ صِفْ لَنَا الصُّوْرَ؟ فَقَالَ ﷺ: اِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كِالْعِهْنِ الْمَنْفُوْشِ وَتَسِيْرُ كَالْهَوَاءِ وَتَغْلَى الْبِحَارُ وَتَكُوْنُ بَحْرًا وَاحِدًا وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَكُوْنُ مَاءً حَمِيْمًا، وَمَاءُ الْبِحَارِ يَنْفُذُ اِلَى الْأَرِضِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ وَلَا امْرَأَةٌ مُرْضِعَةٌ اِلَّا زَالَ وَلَدُهَا عَنْ يَدِهَا، وَلَا امْرَأَةٌ حَامِلٌ اِلَّا وَضَعَتْ حَمْلَهَا مِنْ خَوْفِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ،**

---

(١) سورة الزمر: ٦٨

(٢) هو قول بعضهم: ينفخ مرتين.

(٣) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري (١٠ ق هـ-٧٤هـ) صحابي من صغار الصحابة، وأحد المكثرين لرواية الحديث النبوي. روى بقي بن مخلد في مسنده لأبي سعيد الخدري بالمكرر ١١٧٠ حديث، وجمع له البخاري ومسلم ٤٣ حديث، وانفرد البخاري ١٦ حديثًا، ومسلم ٥٢ حديث، كما روى له الجماعة.

وَالنَّاسُ سُكَارَى مِنْ هَيْبَتِهِ، وَالْأَطْفَالُ تَكُوْنُ شَيِّبًا وَكُلُّ مَخْلُوْقٍ هَالِكٌ اِلَّا حَمَلَةَ الْعَرْشِ[1] وَجِبْرَائِيْلَ وَمِيْكَائِيْلَ وَاِسْرَافِيْلَ وَعِزْرَائِيْلَ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوْتُوْنَ ثُمَّ يَأْمُرُ اللّٰهُ تَعَالىٰ عِزْرَائِيْلَ اَنْ يَقْبِضَ اَرْوَاحَ هٰؤُلَاءِ فَيَقْبِضُ اَرْوَاحَهُمْ»

وَفِي رِوَايَةٍ «يَجِيْئُ الْخِطَابُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالىٰ فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ فَيَمُوْتُوْنَ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فَيَبْقَى الْعَرْشُ مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ يَجِيْئُ الْخِطَابُ اِلَى جِبْرَئِيْلَ وَمِيْكَائِيْلَ وَاِسْرَافِيْلَ وَعِزْرَائِيْلَ مُوْتُوْا فَيَمُوْتُوْنَ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فَمَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ أَحَدٌ غَيْرُ اللّٰهِ تَعَالىٰ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[2]،

---

(١) قال الله تعالى: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (الحاقة:١٧). قال ابن كثير: أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة. وقال الطبري: اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله(ثَمَانِيَةَ) فقال بعضهم: عُنِيَ به ثمانية صفوف مِنَ الملائكة، لا يعلم عدّتهن إلا الله. وقال القرطبي: قال ابن عباس: ثمانية صفوف مِنَ الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله. وقال ابن زيد: هم ثمانية أمْلاك. وعن الحَسن :الله أعلم كم هم، ثمانية أم ثمانية آلاف. وقال السعدي: أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله.

(٢) سورة الرحمٰن: ٢٦-٢٧

ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، فَلَا يُجِيْبُهُ اَحَدٌ فَيَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ مُجِيْبًا لِنَفْسِهِ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: اَنَا مَلِكُ الْمُلُوْكِ اَيْنَ الْمُلُوْكُ وَاَيْنَ الْجَبَّارُوْنَ وَالْمُتَكَبِّرُوْنَ وَاَيْنَ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ رِزْقِي وَيَعْبُدُوْنَ غَيْرِي».

فَتَبْقَى الدُّنْيَا خَالِيَةً مِقْدَارَ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً ثُمَّ اِنَّ اللّٰهَ اِذَا اَرَادَ اَنْ يُحْيِيَ الْخَلْقَ خَلَقَ بَحْرًا تَحْتَ الْعَرْشِ مَاؤُهُ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ وَاسْمُ ذٰلِكَ الْبَحْرِ بَحْرُ الْحَيَاةِ وَيُمْطِرُ ذٰلِكَ الْبَحْرُ عَلَى الدُّنْيَا اَرْبَعِيْنَ يَوْمًا وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَنْبُتُ أَجْسَادُ مَنْ فِي الْأَرْضِ كَنَبَاتِ الْبَاقِلَّاءِ فِي الرَّبِيْعِ. فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ اَعْضَاءِ الْمَخْلُوْقِ تَكُوْنُ رَمِيْمًا اِلَّا ثَلَاثُ عِظَامٍ[1] فَتَنْبُتُ الْأَجْسَادُ عَلَى تِلْكَ الْعِظَامِ فَإِذَا

(١) وفي الحديث الصحيح اخرجه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون شهرًا ؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، قال: ثم يُنْزِل الله من السماء ماء فينبتون، كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»، وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد قوله عليه الصلاة والسلام : يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجبَ ذنبه ، قيل : ومثل ما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تَنْبُتون.

تَمَّتِ الْأَجْسَادُ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ يُحْيِ اللّٰهُ تَعَالىٰ قَبْلَ كُلِّ مَخْلُوْقٍ اِسْرَافِيْلَ ثُمَّ يَأْمُرُهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ اَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّوْرِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ فَيَنْفُخُ فِي الصُّوْرِ فَيَقُوْلُ عِنْدَ ذٰلِكَ: «**يَآ اَيَّتُهَا الْعِظَامُ النَّخِرَةُ وَالْجُلُوْدُ الْبَالِيَةُ قُوْمُوا لِلْحِسَابِ**» فَيَرْفَعُوْنَ رُؤُوْسَهُمْ كَالْمُسْتَيْقِظِ مِنَ النَّوْمِ، فَيَقُوْلُوْنَ: «**يَا وَيْلَنَا**»[1] اَلْآيَةَ.

وَفِي رِوَايَةٍ، اَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يَضَعُ أَرْوَاحَ الْمَلَائِكَةِ فِي اَوَّلِ ثَقَبٍ فِي الصُّوْرِ وَاَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الثَّقَبِ الثَّانِي وَاَرْوَاحَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ فِي الثَّقَبِ الثَّالِثِ وَاَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ فِي الثَّقَبِ الرَّابِعِ وَاَرْوَاحَ الْجِنِّ فِي الثَّقَبِ الْخَامِسِ وَاَرْوَاحَ الشَّيَاطِيْنِ فِي الثَّقَبِ السَّادِسِ وَاَرْوَاحَ الْكُفَّارِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الثَّقَبِ السَّابِعِ.

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الصُّوْرِ، قَالَ: «**هُوَ قَرْنٌ طُوْلُهُ مَسِيْرَةُ سَبْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ وَفِيْهِ سَبْعَةُ ثَقَبٍ مِنْ ثَقَبٍ اِلَى ثَقَبٍ**

(١) سورة يٰس: ٥٢

مَسِيْرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ، بِعَدَدِ كُلِّ رُوْحٍ فِيْهِ ثَقَبٌ ثُمَّ يَأْمُرُ اللّٰهُ تَعَالىٰ اِسْرَافِيْلَ اَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّوْرِ فَيَنْفُخُ فِي الصُّوْرِ فَتَخْرُجُ جَمِيْعُ الْأَرْوَاحِ مِنْ اَجْنَاسِ الْمُخْلُوْقِيْنَ مِنَ الصُّوْرِ فَتَخْرُجُ اَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِيْنَ كَضَوْءِ السِّرَاجِ وَاَرْوَاحُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِيْنَ مِثْلُ الْقَيْحِ.

ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي اَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ لَأَدْخُلَنَّ كُلَّ رُوْحٍ اِلَى قَالَبِهِ الَّذِي كَانَ فِيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا حَتَّى لَا يَدْخُلُ اِلَى غَيْرِ قَالَبِهِ فَتَخْرُجُ اَجْسَادُ الْخَلَائِقِ مِنَ الْأَرْضِ كَامِلَةً تَامَّةً مَطْرُوْحَةً حَيًّا بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ.

وَاِذَا خَرَجَ الْخَلَائِقُ مِنَ الْأَرْضِ يُرْسِلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ نَارًا مِنْ اَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَشْرِقِ اِلَى الْمَغْرِبِ وَتَسُوْقُهَا الْمَلَائِكَةُ

(١) وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ ﷺ فقال: ما الصُّور؟ قال: قرنٌ يُنفخُ فيه» رواه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذيّ (٢٤٣٠، ٣٢٤٤).

وَهِيَ تَجْمَعُ الْخَلَائِقَ اِلَى الْمَحْشَرِ وَتُعْرِضُ الْخَلَائِقَ عَلَى اللّٰهِ، وَهٰذَا مَعْنَى «فَاِذَا هُمْ مِّنَ الْاَجْدَاثِ اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ»

﴿قَالُوْا يٰوَيْلَنَا مَنْ ۢبَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ قَالَ أُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ[1] وَابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ: اِنَّمَا يَقُوْلُوْنَ هٰذَا حَيْثُ اَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى رَفَعَ الْعَذَابَ عِنْ اَهْلِ الْعَذَابِ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ فَيَرْقُدُوْنَ فِي قُبُوْرِهِمْ فَإِذَا بُعِثُوْا بِعْدَ النَّفْخَةِ الْأَخِيْرَةِ وَعَايَنُوْا الْقِيَامَةَ دَعَوْا بِالْوَيْلِ.

وَقَالَ اَهْلُ الْمَعَانِي[2]: اِنَّ الْكُفَّارَ اِذَا عَايَنُوْا فِي جَهَنَّمَ اَنْوَاعَ الْعَذَابِ وَصَارَ عَذَابُ الْقَبْرِ فِي جَنْبِ عَذَابِ جَهَنَّمَ كَالنَّوْمِ، قَالُوْا «مَنْ ۢبَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا» ثُمَّ قَالُوْا ﴿هٰذَا مَا وَعَدَ

(١) أُبَيّ بن كعب (توفي ٣٠هـ/ ٦٥٠م) صحابي وقارئ وفقيه وكاتب للوحي وراوي للحديث النبوي من الأنصار من بني معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار من الخزرج .وكان من كتّاب الوحي شهد بدرًا وأحد والخندق وبيعة العقبة الثانية، وشهد مع النبي محمد ﷺ المشاهد كلها، وكان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ.

(٢) قال الزركشي: قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به **مصنفو الكتب في معاني القرآن** كالزجاج ومن قبله. وفي بعض كلام الواحدي أكثر أهل المعاني الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا. انتهى

﴿الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُوْنَ۝٥٢﴾ فِي كَلَامِهِمْ وَهُمْ مُقِرُّوْنَ وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ الْإِقْرَارُ.

وَقِيْلَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ» اِلَخ.

﴿اِنْ كَانَتْ اِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً فَاِذَا هُمْ جَمِيْعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ۝٥٣﴾ أَيْ مَا كَانَ خُرُوْجُهُمْ مِنَ الْقُبُوْرِ اِلَّا بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ اِسْرَافِيْلَ لِأَنَّ الْمَخْلُوْقِيْنَ يَمُوْتُوْنَ بِصَيْحَةٍ وَيَخْرُجُوْنَ مِنْ قُبُوْرِهِمْ بِصَيْحَةٍ وَيُجْمَعُوْنَ كُلُّهُمْ عِنْدَنَا لِلْحِسَابِ.

فَإِنْ قِيْلَ: لِمَ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى جَمِيْعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ وَلَيْسَ لِلْكُفَّارِ قُرْبٌ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى؟ أُجِيْبَ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْقُرْبِ قُرْبُ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ، لَا قُرْبُ الْكَرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ، يَعْنِي: رُفِعَتِ الْحُجُبُ وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَيَسْأَلُ عِبَادَهُ بِعَظِمَتِهِ وِكِبْرِيَائِهِ عَنْ جَمِيْعِ مَا فَعَلُوْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَّلَا تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴿٥٤﴾﴾ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ خَلَقَ بَنِي آدَمَ وَأَعْطَاهُمُ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ وَبَيَّنَ لَهُمْ طَرِيْقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَبَيَّنَ لَهُمْ جَزَاءَ اَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِأَنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا، قَالَ تَعَالىٰ: «**فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَّرَهُ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهُ**».

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى «الْيَوْمِ» فَالْيَوْمُ فِي اصْطِلَاحِ الْمُنَجِّمِيْنَ[1]: زَمَانٌ مُمْتَدٌّ بَيْنَ طُلُوْعِ نِصْفِ الْجِرْمِ مِنَ الشَّمْسِ وَغُرُوْبِهَا.

قَالَ اَبُوْ حَامِدِ الْأَصْفِهَانِيُّ[2] فِي كِتَابِ الْوُجُوْهِ وَالنَّظَائِرِ: اِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى اَرْبَعَةِ اَوْجُهٍ:

---

(١) والمُنَجِّمُ أو المُتَنَجِّمُ هو الشخص الذي يَدَّعي علم الحوادث أو الوقائع الأرضية التي ستقع في المُستقبل، كإخبارِهِ بأوقات هبوب الرِّياح ومجيء المطرِ، وتَغيُّرِ الأسعار، والسعادة والشَّقاء، والحياة والموت، وما في معانيها من الأمور التي يزعمون أنها تُدرك مَعرِفَتُها بِمَسِيرِ الكواكب في مجارِيها، واجتماعها وافتراقها.

(٢) هو عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني المعروف أيضًا عماد الدين الكاتب أو أبو عماد الدين الأصفهاني أو العماد الأصفهاني (٥١٩-٥٩٧ هـ/ ١١٢٥-١٢٠١م) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودون أحداثهما توفي في دمشق.

اَلْأَوَّلُ: اَحَدُ اَيَّامِ السَّنَةِ الَّتِي خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالىٰ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْهَا، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ**»[١]

وَالثَّانِي: اَحَدُ اَيَّامِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ اَلْفَ سَنَةٍ**»[٢] وَالْمُرَادُ بِالْمِقْدَارِ نُزُوْلُ جِبْرَائِيْلَ عليه السلام وَصُعُوْدُهُ اِلَى مَكَانِهِ.

وَالثَّالِثُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلٰٓى اَفْوَاهِهِمْ**»[٣] الْآيَةَ.

وَالرَّابِعُ: اَلْوَقْتُ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**وَاٰتُوْا حَقَّه يَوْمَ حَصَادِه**»[٤].

وَذُكِرَ فِي خُلَاصَةِ التَّفْسِيْرِ: اَنَّ الْيَوْمَ بِمَعْنَى الْوَقْتِ سَوَاءٌ كَانَ لَيْلًا اَوْ نَهَارًا، وَالْمُرَادُ مِنْ «الْيَوْمَ» الْوَقْتُ لَا يَوْمٌ بِعَيْنِهِ لِأَنَّ

---

(١) سورة الأعراف: ٥٤

(٢) سورة المعارج: ٤

(٣) سورة يٰس: ٦٥

(٤) سورة الأنعام: ١٤١

فِي زَمَانِ الْحَشْرِ نُوْرُ الشَّمْسِ يَنْتَفِي كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «اِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[1].

رُوِيَ اَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْبَهْلُوْلَ: مِنْ اَيْنَ تَجِيئُ يَا بَهْلُوْلُ؟ قَالَ: مِنْ جَهَنَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: بِأَيِّ مَصْلَحَةٍ ذَهَبْتَ اِلَيْهَا؟ قَالَ: لِأَجْلِ النَّارِ فَمَا وَجَدْتُهَا فِيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا مَعْنَى هٰذَا الْكَلَامِ؟ قَالَ بَهْلُوْلُ: لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ يَدْخُلُ مَعَ النَّارِ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا عَمَلَ اَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ جَهَنَّمَ مَعَهَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَخَـــذْتُ نَـارًا بِيَـدِي ❁ وَضَعْتُهَا فِي كَبِدِيْ
اِلَى مَنْ اَشْكُو يَا سَيِّدِي ❁ أَحْرَقْتُ قَلْبِي بِيَدِي

فَهٰذَا مَعْنَى «وَلَا تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ» وَلْنَرْجِعْ اِلَى اَصْلِ الْكَلَامِ، فَإِذَا قَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُوْرِهِمْ قَامُوْا عَلَيْهَا مِقْدَارُ

(١) سورة التكوير: ١

اَلْفِ سَنَةٍ حُفَاةً عُرَاةً جَيَّاعًا عَطَّاشًا، فَالَّذِي مَاتَ عَلَى الْإِيْمَانِ لَا يَكُوْنُ هٰذَا الْمِقْدَارُ فِي حَقِّهِ اِلَّا مِقْدَارَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا رَسُوْلَ اللّٰهِ: اَ تُحْشَرُ النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ حُفَاةً عُرَاةً؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَافَضِيْحَتَاهْ، ثُمَّ بَكَتْ بُكَاءً شَدِيْدًا، فَقَالَ ﷺ: لَا تِبْكِي يَا عَائِشَةُ اَ مَا سَمِعْتِ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالىٰ «**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُّغْنِيْهِ**»[1] لَا يَقْدِرُ اَحَدٌ اَنْ يَنْظُرَ اِلَى مَنْ فِي جَنْبِهِ مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، ثُمَّ يُسَاقُ الْخَلْقُ اِلَى الْمَحْشَرِ، فَالَّذِيْنَ عَمِلُوْا فِي الدُّنْيَا عَمَلًا صَالِحًا يَكُوْنُ عَمَلُهُمْ لَهُمْ مَرْكَبًا فَلَا يَمْشِي رَاجِلًا، وَبَعْضُهُمْ يَمْشِي رَاجِلًا، وَبَعْضُهُمْ يَمْشُوْنَ عَلَى وُجُوْهِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ يَمْشُوْنَ عَلَى اَيْدِيْهِمْ، فَإِذَا جُمِعُوْا فِي الْمَحْشَرِ تَكُوْنُ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِقْدَارَ مَيْلٍ وَاَحَاطَتْ بِجَوَانِبِهِمُ النَّارُ وَعَلَى ظُهُوْرِهِمْ اَحْمَالُ اَوْزَارِهِمْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ حَرَارُ الشَّمْسِ،

(١) سورة عبس: ٣٧

فَبَعْضُهُمْ يَكُوْنُ فِي الْعِرْقِ اِلَى رُكْبَتِهِ وَبَعْضُهُمْ اِلَى وَسَطِهِ وَبَعْضُهُمْ اِلَى حُلْقُوْمِهِ وَبَعْضُهُمْ يَغْرَقُ فِي الْعِرْقِ فَيَنْفُذُ الْعِرْقُ اِلَى الْأَرْضِ مِقْدَارَ سَبْعِيْنَ ذِرَاعًا، وَفِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لَا يُوْجَدُ ظِلٌّ اِلَّا ظِلُّ الْعَرْشِ وَيَكُوْنُ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ سَبْعُ طَوَائِفَ:

اَلْأُوْلَى: اَلْحُكَّامُ الْعَادِلُوْنَ،

وَالثَّانِيَةُ: الَّذِيْنَ يَعْبُدُوْنَ اللّٰهَ فِي شَبَابِهِمْ،

وَالثَّالِثَةُ: الَّذِيْنَ يُلَازِمُوْنَ الْمَسَاجِدَ،

وَالرَّابِعَةُ: الْمُتَحَابُّوْنَ فِي اللّٰهِ،

وَالْخَامِسَةُ: الَّذِيْنَ يُؤَدُّوْنَ صَدَقَاتِهِمْ اَي حُقُوْقَ اللّٰهِ تَعَالٰى،

وَالسَّادِسَةُ: الَّذِيْنَ تَدْعُوْهُمُ امْرَأَةٌ جَمِيْلَةٌ وَيَخَافُوْنَ اللّٰهَ تَعَالٰى وَلَا يَعْمَلُوْنَ مَعَهَا فِعْلَ الزِّنَا،

وَالسَّابِعَةُ: الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ اللّٰهَ وَيَبْكُوْنَ وَتَقْطُرُ الدُّمُوْعُ مِنْ

عُيُوْنِهِمْ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ.

وَسَائِرُ الْخَلَائِقِ يَبْقُوْنَ فِي الْمَحْشَرِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يُسَاقُ النَّاسُ اِلَى الظُّلْمَةِ، وَالْمُؤْمِنُوْنَ يَخْرُجُوْنَ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَةِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُوْنَ يَمْكُثُوْنَ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ، ثُمَّ يَخْرُجُوْنَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ يُسَاقُ النَّاسُ اِلَى الْحِسَابِ وَفِي الْحِسَابِ عَشْرُ سَتُوْرٍ اَيْ مَوَاقِفَ، وَفِي كُلِّ سَتْرٍ يَمْكُثُوْنَ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ، وَفِي كُلِّ سَتْرٍ يُسْأَلُوْنَ عَمَّا عَمِلُوْا،

فَفِي الْأَوَّلِ: يُسْأَلُوْنَ عَنِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ،

وَفِي الثَّانِي: يُسْأَلُوْنَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْهَوَى،

وَفِي الثَّالِثِ: عَنْ حُقُوْقِ الْوَالِدَيْنِ

وَفِي الرَّابِعِ: عَنْ حُقُوْقِ الْأَوْلَادِ وَالْعِيَالِ،

وَفِي الْخَامِسِ: عَنْ حُقُوْقِ الْخِدْمَةِ

وَفِي السَّادِسِ: عَنْ حُقُوْقِ الْجِيْرَانِ وَالْأَقْرِبَاءِ

وَفِي السَّابِعِ: عَنْ صِلَةِ الرَّحِمِ

وَفِي الثَّامِنِ: عَنِ الْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ

وَفِي التَّاسِعِ: عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَفِي الْعَاشِرِ: عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْبُهْتَانِ.

فَمَنْ يَعْمَلْ هٰذِهِ الْأَعْمَالَ الْقَبِيْحَةَ فِي الدُّنْيَا وَحَفِظَ حُقُوْقَ اللّٰهِ يَمُرُّ مِنْ هٰذِهِ السَّتُوْرِ الْعَشْرَةِ فِي سَاعَةٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ هٰذِهِ الْحُقُوْقَ الْمَذْكُوْرَةَ يَمْكُثُ فِي كُلِّ سَتْرٍ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ تُسَاقُ النَّاسُ اِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تُنْشَرُ فِيْهِ عَلَيْهِمْ دَفَاتِرُ اَعْمَالِهِمْ وَيَقِفُوْنَ فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ، وَيُعْطَى دَفْتَرُ بَعْضِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ بَيَاضًا، وَيُعْطَى دَفْتَرُ بَعْضِهِمْ بِشَمَائِلِهِمْ سَوَادًا، وَبَعْضُهُمْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُوْرِهِمْ ثُمَّ جَاءَ الْخِطَابُ مِنْ قِبَلِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: «**اِقْرَأْ كِتٰبَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًا**»[1]

(١) سورة الإسراء: ١٤

وَيَجِدُوْنَ فِي تِلْكَ الدَّفَاتِرَ كُلَّ مَا عَمِلُوْا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ: «**يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَّلَا كَبِيْرَةً اِلَّآ اَحْصٰىهَا**»(١)

ثُمَّ يُسَاقُ النَّاسُ اِلَى الْمِيْزَانِ، وَمَوْضِعُ الْمِيْزَانِ أَمَامَ الْعَرْشِ وَعِنْدَ كَفَّتِهِ الْيُمْنَى يَقُوْمُ خَازِنُ الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَهُ الْحُلَلُ وَالْبُرَاقُ، وَعِنْدَ كَفَّتِهِ الْيُسْرَى تَقُوْمُ الزَّبَانِيَةُ مَعَهَا السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ، وَكُلُّ النَّاسِ حَامِلُوْنَ اَوْزَارَهُمْ وَحَسَنَاتِهِمْ وَاقِفِيْنَ عِنْدَ الْمِيْزَانِ.

ثُمَّ يُنَادَى «يَا اَيُّهَا النَّاسُ اُنْظُرُوْا اِلَى الْمِيْزَانِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُوْزَنُ عَمَلُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ» وَيَقِفُوْنَ عِنْدَ الْمِيْزَانِ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي اِلَى الْمِيْزَانِ وَلَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُوْنَ سِجْلًا مِنَ الْأَوْزَارِ وَالسَّيِّئَاتِ وَكُلُّ**

(١) سورة الكهف: ٤٩

سِجْلٍ طُوْلُهُ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: يَا عَبْدِي هَلْ تُنْكِرُ مِمَّا فِي هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ اَوِ الْكَاتِبُوْنَ يَغْلِظُوْنَ؟ فَيَقُوْلُ الْعَبْدُ: لَا يَا رَبِّ كُلُّ مَا فِي هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ أَنَا قَدْ فَعَلْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَلَا مَجَالَ لِي لِلْإِنْكَارِ، ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: يَا عَبْدِي لَكَ عِنْدِي حَسَنَةٌ وَاَنَا لَا اَظْلِمُكَ الْيَوْمَ، وَاَخْرَجَ اللّٰهُ تَعَالىٰ وَرَقَةً مِقْدَارَ اُصْبُعٍ وَعَلَيْهَا مَكْتُوْبٌ اَشْهَدُ أَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ اِلَى آخِرِهَا، وَيَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: يَا عَبْدِي مَا فَارَقْتَ فِي الدُّنْيَا هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ حَتَّى أَتَيْتَ شَفِيْرَ الْقَبْرِ، فَالْيَوْمَ لَا أُفَارِقُكَ مِنْ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ وَلَا ظُلْمَ الْيَوْمَ لِأَحَدٍ فَتُوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَتُوْضَعُ تِلْكَ الْوَرَقَةُ فِي كَفَّةٍ أُخْرَى، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الْوَرَقَةُ عَلَى مَا فِي السِّجِلَّاتِ لِأَنَّ اسْمَ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَاسْمَ حِبِيْبِهِ أَعْظَمُ وَاَعْلَى فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُمَا».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: «يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ، هَلْ يَذْكُرُوْنَ عِيَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ﷺ: نَعَمْ، اِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ» يَعْنِي: لَا

يَقْدِرُ أَحَدٌ اَنْ يَذْكُرَ اَحَدًا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

اَلْأَوَّلُ: عِنْدَ قِرَاءَةِ دَفَاتِرِ اَعْمَالِهِ

وَالثَّانِي: عِنْدَ وَزْنِ اَعْمَالِهِ

وَالثَّالِثُ: عَلَى الصِّرَاطِ

ثُمَّ تَجِيْئُ الْمَلَائِكَةُ وَتَسُوْقُ النَّاسَ اِلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ جِسْرٌ مَمْدُوْدٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ اَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَاَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَجَهَنَّمُ تَحْتَهُ وَنَارُهَا تَلْهَبُ فَوْقَهُ، وَالزَّبَانِيَةُ يَرْمُوْنَ الْعُصَاةَ عَنِ الصِّرَاطِ، وَعَلَيْهَا سَبْعَةُ مَوَاقِفَ، وَطُوْلُ الصِّرَاطِ مِقْدَارُ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ، اَلْفُ سَنَةٍ صُعُوْدٌ وَاَلْفُ سَنَةٍ هُبُوْطٌ وَاَلْفُ سَنَةٍ اِسْتِوَاءٌ، وَفِي كُلِّ مَوْقِفٍ يُسْأَلُ النَّاسُ عَنْ شَيْئٍ وَاحِدٍ:

اَلْأَوَّلُ: عَنِ الْإِيْمَانِ

وَالثَّانِي: عَنِ الصَّلَاةِ

وَالثَّالِثُ: عَنِ الزَّكَاةِ

وَالرَّابِعُ: عَنِ الصَّوْمِ

وَالْخَامِسُ: عَنِ الْحَجِّ

وَالسَّادِسُ: عَنِ الْوُضُوْءِ وَالْغُسْلِ

وَالسَّابِعُ: عَنِ الظُّلْمِ.

وَمَنْ قَصُرَ فِي هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُوْرَاتِ يَمْكُثُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مَقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ وَاِلَّا يَمُرُّ عَلَى كُلِّ مَوْقِفٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ وَاحِدٌ لَكِنْ طُوْلُهُ مِقْدَارُ الْفِ سَنَةٍ بِاعْتِبَارِ هٰذِهِ الْمَوَاقِفِ لِأَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَمْسِيْنَ مَوْقِفًا، فَيَمْكُثُ الْمَخْلُوْقُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِقْدَارَ اَلْفِ سَنَةٍ.

فَأَوَّلُ مَنْ يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقِفُ عِنْدَ الصِّرَاطِ وَيَقُوْلُ: «**اَللّٰهُمَّ سَلِّمْ أُمَّتِي**» فَتَمُرُّ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ وَتَجِيْئُ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّايَةِ وَاللِّوَاءِ، وَيُعْطَى مُحَمَّدٌ ﷺ لِوَاءَ الْحَمْدِ طُوْلُهُ مَسِيْرَةُ اَلْفِ سَنَةٍ وَعَلَيْهِ مَكْتُوْبٌ ثَلَاثَةُ اَسْطُرٍ:

اَلْأَوَّلُ: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالثَّانِي: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ

وَالثَّالِثُ: لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللّٰهِ.

وَيَقُوْمُ مُحَمَّدٌ ﷺ تَحْتَهُ وَيَجْتَمِعُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُوْنَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصِّدِّيْقُوْنَ تَحْتَهُ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اَنَّ آدَمَ عليه السلام وَمَنْ دُوْنَهُ تَحْتَ لِوَائِي ثُمَّ تَجِيْئُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحُلَلِ وَالْبُرَاقِ وَالتَّاجِ، وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ السَّابِقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ؟ فَيَقُوْلُ اَبُوْ بَكْرٍ رضي الله عنه: لَبَّيْكَ، وَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَهَا الْمُهَاجِرُوْنَ وَالصِّدِّيْقُوْنَ وَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الَّذِيْنَ يَنْصُرُوْنَ دِيْنَ الْإِسْلَامِ؟ فَيَقُوْلُ عُمَرُ رضي الله عنه: لَبَّيْكَ، فَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَ تِلْكَ الرَّايَةِ الْعَادِلُوْنَ وَالْآمِرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ؟

فَيَقُوْلُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لَبَّيْكَ، وَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَ رَايَتِهِ كُلُّ مَنْ اَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ اَوْلِيَاءُ اللّٰهِ تَعَالىٰ؟ فَيَقُوْلُ عَلِيُّ ابْنُ اَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لَبَّيْكَ، وَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَ رَايَتِهِ كُلُّ الْأَوْلِيَاءِ وَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِي الدُّنْيَا ظُلْمًا؟ فَيَقُوْلُ حُسَيْنُ ابنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لَبَّيْكَ، فَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَ رَايَتِهِ كُلُّ مَنْ قُتِلَ ظُلْمًا، وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ[1] رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قُدَامَهُمْ وَبِيَدِهَا الْيُمْنَى قَمِيْصُ حُسَيْنٍ مُدْمِيًا وَبِيَدِهَا الْيُسْرَى قَمِيْصُ حَسَنٍ مَسْمُوْمًا، وَتَقُوْلُ: يَا رَبِّ خُذْ مَظْلَمَتِي مِنَ الظَّالِمِ، فَيَقُوْلُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا: يَا فَاطِمَةُ هٰذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الشَّفَاعَةِ لَا يَوْمُ

(١) **الزهراء**: هناك أقوال بأنها كانت بيضاء اللون مشربة بحمرة زهرية. إذ كانت العرب تسمي الأبيض المشرب بالحمرة بالأزهر ومؤنثه الزهراء، وهناك من يقول أن النبي محمد هو من سماها بالزهراء لأنها كانت تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض، وذلك لزهدها وورعها واجتهادها في العبادة، وفي ذلك ينقل بعض المحدثين وأصحاب السير عنها عباداتٍ وأدعيةً وأورادًا خاصة انفردت بها، مثل: تسبيح الزهراء، ودعاء الزهراء وصلاة الزهراء وغير ذلك.

الْخُصُوْمَةِ، فَتَتْرُكُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الْخُصُوْمَةَ لِكَلَامِ اَبِيْهَا مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كُلُّ مَظْلُوْمٍ مَعَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ فَيَقُوْلُوْنَ: اَيْنَ الَّذِيْنَ تَابُوْا تَوْبَةً نَصُوْحًا وَثَبَتُوْا عَلَى تَوْبَتِهِمْ؟ فَيَقُوْلُ وَحْشِيٌّ[1] قَاتِلُ حَمْزَةَ: لَبَّيْكَ، فَيَعْطُوْنَ لَهُ تِلْكَ الرَّايَةَ فَيَجْتَمِعُ تَحْتَ رَايَتِهِ جَمِيْعُ التَّائِبِيْنَ وَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ مَعَهُ، ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُوْنَ؟ ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الذَّاكِرُوْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا؟ ثُمَّ يَأْتُوْنَ بِرَايَةٍ وَيُنَادُوْنَ: اَيْنَ الْخَائِفُوْنَ؟»

حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى هٰذِهِ الْوُجُوْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَعِشْرُوْنَ رَايَةً، لِأَنَّ

(١) هو وحشي بن حرب، وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة مولى طعيمة بن عدي، وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة، وكان يقول: «قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام» بقي وحشي في مكة بعد عتقه حتى فتحها المسلمون، ففر إلى الطائف إلى أن خرج وفد منها للقاء النبي محمدﷺ، وفي صحيح البخاري «فأقَمْتُ بمكَّةَ حتَّى نشَأ فيها الإسلامُ ثمَّ خرَجْتُ إلى الطَّائفِ قال : وأرسَلوا إلى رسولِ الله ﷺ رُسُلًا قال : وقيل له : إنَّه لا يَهيجُ الرُّسُلَ قال : فجِئْتُ فيهم حتَّى قدِمْتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فلمَّا رآني رسولُ اللهِ ﷺ قال : **أنتَ وَحْشِيٌّ**؟ قُلْتُ : نَعم قال: أنتَ قتَلْتَ حمزةَ ؟ قال : قُلْتُ : قد كان مِن الأمرِ ما بلَغك فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أمَا تستطيعُ أنْ تُغيِّبَ عنِّي وجهَك؟، قال : فخرَجْتُ».

لِدِيْنِ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَعِشْرِيْنَ حُكْمًا شَرْعِيًّا، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**وَسِيْقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ اِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**»[1] الْآيَةَ.

ثُمَّ يُنَادُوْنَ: اَيْنَ فِرْعَوْنُ[2]؟ فَيَأْتُوْنَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنَ النَّارِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الْجَبَّارُوْنَ وَالْمُتَكَبِّرُوْنَ وَفِرْعَوْنُ قُدَامُهُمْ

---

(١) سورة الزمر: ٧٣

(٢) ذهب المؤرّخون إلى احتمال أن يكون كلّ الفراعنة هم فرعون موسى عليه السلام والذّي نجّى الله بدنه؛ ليكون آية، فهم جميعاً لا تزال جثثهم موجودة حتّى الآن، كما تعدّدت آراؤهم في تحديد هوية فرعون موسى تحديداً كما بيّن أحد العلماء الذين أبحروا في دراسة القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، الذي يدعى موريس بوكاي، فقال فرعون موسى يكون بين الاحتمالات على النحو الآتي:الأولى: أنّ فرعون موسى هو تحتمس، والثاني: أنّ فرعون موسى هو أمينوفيس الثاني. أنّ في زمن موسى عليه السلام كان هناك اثنين من الفراعنة، أحدهما فرعون الاضطهاد، وهو رمسيس الثاني، والثاني هو فرعون الخروج، وهو ابن رمسيس، واسمه منيتاح، والآية الكريمة تؤكّد قولهم هذا، قال الله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ).[البقرة:٤٩] واختيار الله تعالى للفظ "الآل" يدلّ على أنّهما كانا فرعونين اثنين؛ ولكن المفسّرين لم يتّجهوا إلى هذا القول، إذ قالوا أنّ شخصية فرعون المذكورة في القرآن هو الشخص ذاته، وأنّ مراد الله من قوله "آل فرعون"، أيّ قوم فرعون الذين كانوا يأتمرون بأمره، ويتّبعون أوامره.

فإن فرعون الذي بعث إليه موسى مات كافرا دلت على ذلك نصوص الوحي، يقول الله تعالى (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ*النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: ٤٥ -٤٦]، وقول فرعون عندما عاين الهلاك وأدركه الغرق (آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس: ٩٠]، لا ينفعه لأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفع، وقد تواردت نصوص الكتاب على ذلك، فمن ذلك قول الله تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) [النساء: ١٨]

يُسَاقُوْنَ اِلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُنَادُوْنَ: اَيْنَ قَابِيْلُ[١] بْنُ آدَمَ عليه السلام؟ فَيَأْتُوْنَ بِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ سَلَاسِلُ مِنَ النَّارِ وَعَلَى رِجْلَيْهِ أَغْلَالٌ مِنَ النَّارِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ جَمِيْعُ الْحُسَّادِ وَالْقَاتِلِيْنَ ظُلْمًا وَقَابِيْلُ قُدَامَهُمْ يُسَاقُوْنَ اِلَى جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُنَادَى: اَيْنَ كَعْبُ ابْنُ الأَشْرَفِ[٢] رَئِيْسُ الْيَهُوْدِ؟ وَيَأْتُوْنَ بِهِ وَعَلَى يَدِهِ أَغْلَالٌ مِنَ النَّارِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ السَّاتِرُوْنَ لِلْحَقِّ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ قُدَامَهُمْ يُسَاقُوْنَ اِلَى جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُنَادُوْنَ: اَيْنَ اَبُوْ جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ؟ وَيَأْتُوْنَ بِهِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالرُّسُلِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِمْ، وَأَبُوْ جَهْلٍ قُدَامَهُمْ يُسَاقُوْنَ اِلَى جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُنَادُوْنَ: أَيْنَ

(١) هو الشقيق الأكبر لهابيل، وأول ابن لأب البشر آدم وحواء، كان فلاحاً يقدم قرباناً من محاصيل إلى الله، ومع ذلك، لم يكن الله مسروراً وفضل تقدمة هابيل، من الغيرة قتل شقيقه هابيل، فعاقبه الله ولعنه، كان لديه العديد من الأطفال ومنهم خنوخ. كان قابيل يعتبر أول إنسان ولد وأول قاتل في التاريخ.

(٢) كعب بن الأشرف، شاعر من بني النضير وقيل كان أبوه من طيء وأمه من يهود بني النضير ذُكر في سيرة رسول الإسلام محمد بأنه أمر بقتله لسبه النبي وتشجيعه قريش على محاربته بالرغم من الصحيفة التي تصالح فيها النبي والمسلمون مع اليهود على الطاعة وحسن التعايش، ونفذ ذلك الأمر جماعة من الأوس. يُقال بأن قتل كعب كان مسألة خيانة وأمن دولة لأنه حرض المشركين على النبي محمد بعد بدر وسعى لتجييشهم ضد المسلمين.

الْوَلِيْدُ بْنُ الْمُغِيْرَةِ فَيَأْتُوْنَ بِهِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الْمُحْتَقِرُوْنَ لِلْفُقَرَاءِ، وَالْوَلِيْدُ قُدَامَهُمْ يُسَاقُوْنَ اِلَى النَّارِ. ثُمَّ يُنَادُوْنَ: أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ[1] وَيَأْتُوْنَ بِهِ مُسْوَدَّ الْوَجْهِ فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الشُّعَرَاءُ، وَ امْرُؤُ الْقَيْسِ قُدَامَهُمْ يُسَاقُوْنَ اِلَى النَّارِ.

كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «**يَوْمَ نَدْعُوْا كُلَّ اُنَاسٍ ۢبِاِمَامِهِمْ**»[2] الْآيَةَ. فَلَمَّا عَايَنَ اَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَأْتُوْنَ اِلَى الصَّحْرَاءِ الْوَاسِعَةِ وَيَرَوْنَ فِيْهَا أَشْجَارًا مُخْتَلِفَةً وَعَلَيْهَا أَثْمَارٌ مُخْتَلِفَةٌ وَيَرَوْنَ الْعُيُوْنَ الْبَارِدَةَ تَجْرِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِالْمُتَنَوِّعَةِ اِنْكَشَفَتْ، وَظِلَالُ الْأَشْجَارِ اِنْبَسَطَتْ فَيَنْزِلُوْنَ تَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ وَيَشْرَبُوْنَ مِنَ الْعُيُوْنِ الْبَارِدَةِ فَمَا يَبْقَى فِي جَوْفِهِمْ

(١) امْرُؤُ القَيْس حُنْدُجُ بْنُ حُجْرِ بْنِ الحَارِثِ الكِنْدِيُّ (٥٠٠-٥٤٠ م) شاعر عربي جاهلي ذو مكانة رفيعة، يُعد رأس شعراء العرب وأبرزهم في التاريخ ووصف بأنه أشعر الناس، واختلف المؤرخون حول اسمه، فقيل جندح وحندج ومليكة وعدي، وهو من قبيلة كندة. وروى ابن قتيبة أن امرأ القيس من أهل نجد، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد. تنقل الشاعر في مواضع متعددة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ووصل إلى القسطنطينية عاصمة الروم. قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار.

(٢) سورة الإسراء: ٧١

غِلٌّ وَلَا غَشٌّ وَلَا حِقْدٌ وَلَا حَسَدٌ وَلَا كِبْرٌ وَلَا عَجْزٌ وَلَا بُغْضٌ وَلَا عَدَاوَةٌ كُلُّهَا تَخْرُجُ بِسَبَبِ ذٰلِكَ الْمَاءِ فَيَصِيْرُ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ خَالِصًا كَالْفِضَّةِ، ثُمَّ يَرْكَبُوْنَ الْبُرَاقَ وَيَأْتُوْنَ اِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَقْبِلُهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ يُنْثِرُوْنَ عَلَى رُؤُوْسِهِمُ الْجَوَاهِرَ وَالْفِضَّةَ وَاللُّؤْلُؤَ، وَيَقُوْلُوْنَ لَهُمْ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوْهَا خَالِدِيْنَ**»، فَيَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَيَنْزِلُوْنَ مَنَازِلَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِيْهِمْ الْجَوَارِي وَبِأَيْدِيْهِمْ كَؤُوْسٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوْتِ مَمْلُوْءَةٌ مِنْ اَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ فَيَشْرَبُوْنَ مِنْ اَيْدِيْهِمْ وَيَشْكُرُوْنَ وَيَشْتَغِلُوْنَ بِالتَّنَعُّمِ، هٰذَا مَعْنَى «**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**» الْآيَةَ.

﴿اِنَّ اَصْحٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِيْ شُغُلٍ﴾ أَي مَشْغُوْلُوْنَ عَنْ اَهْلِ النَّارِ وَعَمَّاهُمْ فِيْهِ مِنَ الْعَذَابِ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيْرٍ وَاَبُوْ عَمْرٍو[1]

(١) أَبو عمرو بن ٱلعلاء بن عمار التميميّ المازنيّ البصري (٧٠-١٥٤هـ/ ٦٨٧-٧٧٠م) أحد القراء السبعة، شيخ العربية والقراءة، أوحد أهل زمانه، من رواة الشعر، برز في الحروف، والنَّحْو، وكان من أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب، وقد انتهت إليه الإمامة في القراءة بالبَصْرة، وهو أحد التابعين.

«شُغْلٍ» بِالسُّكُوْنِ الْغِيْنِ، وَالْبَاقُوْنَ بِضَمِّهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ.

وَاخْتَلَفُوْا فِي مَعْنَى «شُغُلٍ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فِي افْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ فِي ظِلَالِ الْأَشْجَارِ عَلَى شُطُوْطِ الْأَنْهَارِ فِي جِوَارِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ».

وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ[1]: «فِي زِيَارَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»،

وَقِيْلَ: فِي ضِيَافَةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ.

وَقِيْلَ: فِي ذِكْرِ اَهْلِ النَّارِ، يَعْنِي: إِذَا كَانَ فِي النَّارِ أَهْلُهُمْ وَعِيَالُهُمْ وَأَقْرِبَاؤُهُمْ اَنْسَاهُمُ اللّٰهُ تَعَالىٰ ذِكْرَهُمْ حَتَّى لَا يَغْتَمُّوْا بِذِكْرِهِمْ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ بِدَارِهِمْ غَمٌّ ﴿فٰكِهُوْنَ۝٥٥﴾ أَيْ نَاعِمُوْنَ.

وَقِيْلَ: فَرِحُوْنَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «يَعْجَبُوْنَ بِمَا هُمْ فِيْهِ».

وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ[1]: «**فٰكِهُوْنَ**» وَهُمَا لُغَتَانِ، مَعنَاهُمَا وَاحِدٌ

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، وهو نحوي لغوي وليس قارئًا بالمعنى التقليدي للقراءات القرآنية. يرجع سبب هذا اللبس إلى أنه ألف كتابًا بعنوان "القراءات" ضمن مؤلفاته المتعددة في النحو واللغة. لقد كان من أوائل علماء المدرسة البغدادية في النحو، واشتهر بجمع الآراء بين مذهبي البصرة والكوفة، توفي سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م.

كَالْحَاذِرِ وَالْحَذِرِ».

﴿هُمْ وَاَزْوَاجُهُمْ فِيْ ظِلٰلٍ﴾ يَعْنِي اَهْلُ الْجَنَّةِ وَاَزْوَاجُهُمْ يَكُوْنُوْنَ فِي ظِلَالِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ ﴿عَلَى الْاَرَآئِكِ مُتَّكِئُوْنَ﴿٥٦﴾﴾ أَي السَّرَائِرِ الْحِجَالِ.

قَالَ ثَعْلَبَةُ[٢]: «لَا تَكُوْنُ أَرِيْكَةٌ اِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهَا حِجْلَةٌ»، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ «فِيْ ظُلَلٍ» بِضَمِّ الظَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ جَمْعُ ظُلَّةٍ.

﴿لَهُمْ فِيْهَا فَاكِهَةٌ وَّلَهُمْ مَّا يَدَّعُوْنَ﴿٥٧﴾﴾ أَي مَا يَتَمَنَّوْنَ وَيَشْتَهُوْنَ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اَنَّهُ قَالَ: «مَا يَخْطُرُ عَلَى قُلُوْبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَبْلَ اَنْ يَأْتِيَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اِلَّا يَكُوْنَ

(١) هو الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، وهو أحد القراء العشرة وأحد أئمة القراءة بالمدينة المنورة، كان من التابعين، وقد صح أنه أتى به إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فمسحت على رأسه ودعت له بالخير وأنه صلى بابن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، توفي سنة ١٣٠هـ.

(٢) لعل هو ثعلبة بن عنمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (المتوفي سنة ٥ هـ) صحابي من بني سواد بن غنم من الخزرج، شهد بيعة العقبة الثانية، وهو الذي تولّى تكسير أصنام بني سَلَمَة مع معاذ بن جبل وعبد الله بن أنيس. شهد ثعلبة غزوتي بدر وأحد، وقُتل يوم الخندق قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

ذٰلِكَ الشَّيْئُ حَاضِرًا عِنْدَهُمْ»، يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «يَا عِبَادِي أُطْلُبُوْا مِنِّي مَا تَتَمَنَّوْنَهُ» فَيَطْلُبُ الْعِبَادُ مِنَ اللّٰهِ مَا يَتَمَنَّوْنَهُ، ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «قَدْ اَعْطَيْتُكُمْ مَا تَمَنَّيْتُمْ، هَلْ رَضِيْتُمْ عَنِّي؟» فَيَقُوْلُوْنَ: «يَا رَبَّنَا مَا لَنَا لَا نَرْضَى عَنْكَ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ اَحَدًا، فَكَيْفَ لَا نَرْضَى عَنْكَ»، فَيَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «أُعْطِي شَيْئًا أَزْيَدَ منَ الْأَوَّلِ»، فَيَقُوْلُوْنَ: «يَا رَبَّنَا مَا الشَّيْئُ الَّذِي هُوَ اَزْيَدُ مِنْ هٰذَا؟» فَيَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «أَرْضَى عَنْكُمْ وَلَا أَغْضَبُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا».

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «أَنَّ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا مِنَ الْمِسْكِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ زُيِّنَتْ بِمَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ وَعَلَيْهَا النَّبِيُّوْنَ وَالْعُلَمَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّهُمْ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ تَعَالىٰ وَيُسَبِّحُوْنَ وَيَحْمَدُوْنَ، ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «سَلُوْنِي يَا عِبَادِي»، فَيَقُوْلُوْنَ: «نَسْأَلُكَ يَا رَبَّنَا رِضَاكَ»، فَيَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «قَدْ رَضِيْتُ عَنْكُمْ رِضًا أُحِلُّ لَكُمْ دَارِي»،

ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ لِرِضْوَانَ: «يَا رِضْوَانُ أَطْعِمْ أَوْلِيَائِي» فَيُؤْتَوْنَ بِأَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ فَيَأْكُلُوْنَ وَيَشْرَبُوْنَ وَيَشْكُرُوْنَ بِالسُّرُوْرِ وَالصَّفَاءِ، فَإِذَا فَرَغُوْا مِنَ الطَّعَامِ، يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «سَلُوْنِي يَا عِبَادِي أُعْطِكُمْ» فَيَقُوْلُوْنَ: «نَسْأَلُكَ رِضَاكَ – يَعْنِي – جَمَالَكَ»

ثُمَّ يُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ مَا شَاءَ اللّٰهُ تَعَالىٰ، فَيَرَوْنَهُ كَرُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيَخِرُّوْنَ سُجَّدًا،

ثُمَّ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ لَهُمْ:«اِرْفَعُوْا رُؤُوْسَكُمْ لَيْسَ هٰذَا وَقْتَ السُّجُوْدِ وَالرُّكُوْعِ بَلْ وَقْتُ مُشَاهَدَةِ جَمَالِ ذِي الْجَلَالِ» فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ» اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا رِضَاكَ.

﴿سَلٰمٌ قَوْلًا مِّنْ رَّبٍّ رَّحِيْمٍ ۝٥٨﴾ أَي يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ قَوْلًا أَي يَقُوْلُ اللّٰهُ لَهُمْ قَوْلًا، وَرُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اَنَّهُ قَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيْمِهِمْ اِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُوْرٌ فَرَفَعُوْا رُؤُوْسَهُمْ، فَإِذَا رَبُّ الْعِزَّةِ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ:

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا اَهْلَ الْجَنَّةِ»، فَذٰلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالىٰ «سَلٰمٌ **قَوْلًا مِّنْ رَّبٍّ رَّحِيْمٍ**» فَيَنْظُرُ اِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُوْنَ اِلَيْهِ تَعَالىٰ وَلَا يَلْتَفِتُوْنَ اِلَى شَيْئٍ مِنْ نَعِيْمِ مَا دَامُوْا يَنْظُرُوْنَ اِلَيْهِ فَيَنْسَوْنَ النَّعِيْمَ كُلَّهُ بِلَذَّةِ مُشَاهَدَةِ جَمَالِ ذِي الْجَلَالِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ فَيَبْقَى نُوْرُهُ وَبَرَكَتُهُ فِي دِيَارِهِمْ حَتَّى يَرَوْنَهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا.

وَقِيْلَ: تُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ رَبِّهِمْ، قَالَ مُقَاتِلٌ: تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى اَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ بَابٍ يَقُوْلُوْنَ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ رَبِّكُمُ الرَّحِيْمُ».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: «يَكُوْنُ عَلَى بَابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ سَبْعُوْنَ حَاجِبًا فَإِذَا جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ اِلَى زِيَارَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، يَقُوْلُ الْحَاجِبُوْنَ: اِذْهَبُوْا لَيْسَ هٰذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنُوْنَ يَجْلِسُوْنَ مَعَ الْحُوْرِ فَيَتَنَعَّمُوْنَ مَعَهُنَّ، فَتَذْهَبُ الْمَلَائِكَةُ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَجِيْئُوْنَ وَيَدْخُلُوْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَيُبَلِّغُوْنَ سَلَامَ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَيَعْطُوْنَ لَهُمْ هَدِيَّةَ اللّٰهِ تَعَالىٰ،

وَيَقُوْلُوْنَ: اِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يَرْضَى عَنْكُمْ» هٰذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالىٰ: «**سَلٰمٌ قَوْلًا مِّنْ رَّبٍّ رَّحِيْمٍ**».

ثُمَّ يُنَادِي الْمُنَادِي: يَا اَهْلَ الْجَنَّةِ اِنَّ لَكُمْ اَنْ تَصِحُّوْا فَلَا تَسْقَمُوْا اَبَدًا، وَلَيْسَ لَكُمْ الْمَوْتُ وَلَكُمُ الشَّبَابُ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْيَوْمِ غُمُوْمٌ وَلَا هُمُوْمٌ وَلَا سَقَمٌ، وَاَنَّكُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تَكُوْنُوْنَ فِي خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ، وَلَكُمُ الْأَكْلُ وَالشَّرَبُ، وَلَيْسَ لَكُمُ الْبَوْلُ وَالْغَائِطُ، وَلَيْسَ لَكُمُ الْبُلْغَمُ وَالْبُزَاقُ وَالتَّمْخِيْطُ، وَلَيْسَ لَكُمُ الْقُمَلُ وَلَا الْبَرَاغِيْثُ وَلَا الدُّرَنُ، وَأَنْفَاسُكُمْ تَسْبِيْحَاتٌ، وَعِرْقُكُمْ تَرْشِيْحٌ كَالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَلَيْسَ فِي أَجْسَادِهِمْ شُعُوْرٌ اِلَّا الْحَاجِبَ وَالْجَفُوْنَ وَالضَّفَائِرَ، وَطُوْلُ كُلِّهِمْ مِثْلُ طُوْلِ آدَمَ عليه السلام سِتُّوْنَ ذِرَاعًا، وَسِنُّ كُلِّهِمْ مِثْلُ سِنِّ عِيْسَى عليه السلام ثَلَاثٌ وَثَلَاثُوْنَ سَنَةً، وَجَمَالُ كُلِّهِمْ مِثْلُ جَمَالِ يُوْسُفَ عليه السلام، وَاَصْوَاتُهُمْ مِثْلُ صَوْتِ دَاوُدَ عليه السلام، وَخُلُقُهُمْ مِثْلُ خُلُقِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

وَرُوِيَ عَنْ اَبِي سَعِيْدِ الْخُدْرِيِّ اَنَّهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «اَدْنَى غُرَفِ اَهْلِ الْجَنَّةِ اِثْنَانِ وَسَبْعُوْنَ قُبَّةً مِنْ دُرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَفِي جَوْفِ كُلِّ قُبَّةٍ كُرْسِيٌّ مِنْ يَاقُوْتَةٍ حَمْرَاءَ وَفِي كُلِّ كُرْسِيٍّ سَبْعُوْنَ فِرَاشًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَدِيْبَاجٍ وَفِي جَوَانِبِ الْفِرَاشِ وَسَائِدُ مِنَ الْأَقْمِشَةِ النَّفِيْسَةِ وَعَلَى كُلِّ فِرَاشٍ حَوْرَاءُ وَعَلَى كُلِّ حَوْرَاءٍ سَبْعُوْنَ حُلَّةً يُرَى جَسَدُهَا مِنْ تِلْكَ الْحُلَلِ وَيُرَى مُخُّهَا فِي جَوْفِ عَظْمِهَا، لَوْ نَظَرَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ الْحُوْرِ اِلَى الدُّنْيَا لَمَحَى نُوْرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِنْ نُوْرِ جَمَالِهَا، وَلَوْ قَطَرَتْ فِي الدُّنْيَا قِطْرَةٌ مِنْ مَاءِ فَمِّهَا يَكُوْنُ مَاءُ الْبِحَارِ عَذْبًا مِنْ حَلَاوَةِ مَائِهَا».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «لِكُلِّ مُؤْمِنٍ خِيْمَةٌ مِنْ دُرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَسَعَةُ الْخِيْمَةِ سَبْعُوْنَ مَيْلًا وَفِي جَوَانِبِهَا الْأَرْبَعَةِ كَرَاسِيُ، وَعَلَى الْكَرَاسِي حَوْرَاءُ فَكُلُّ وَاحِدَةٍ لَا تَرَى اِلَّا صَاحِبَهَا».

وَفِي الْجَنَّةِ اَرْبَعَةُ اَنْهَارٍ: نَهْرُ الْعَسَلِ وَنَهْرُ اللَّبَنِ وَنَهْرُ

الْخَمْرِ وَنَهْرُ الْمَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ وَاحِدٌ لَكِنْ يُوْجَدُ فِي شُرْبِهِ مِائَةُ طُعْمٍ».

وَسَائِرُ الْعُيُوْنِ وَالْأَنْهَارِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْبَسَاتِيْنِ وَالْقُصُوْرِ كُلُّهَا قَدِ انْفَصَلَتْ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ.

وَاَمَّا نَهْرُ الزَّنْجَبِيْلِ وَالسَّلْسَبِيْلِ وَالرَّحِيْقِ فَغَيْرُ هٰذِهِ الْمَذْكُوْرَاتِ، فَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُوْنَ الْجَنَّةَ يَشْرَبُوْنَ اَوَّلًا مِنْ نَهْرِ اللَّبَنِ، لِأَنَّ اللَّبَنَ كَانَ اَوَّلَ الْغِذَاءِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَشْرَبُوْنَ مِنْ نَهْرِ الْعَسَلِ لِأَنَّ الْعَسَلَ كَانَ سَبَبُ الشِّفَاءِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَشْرَبُوْنَ مِنْ نَهْرِ الْمَاءِ لِأَنَّ الْمَاءَ كَانَ سَبَبُ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَشْرَبُوْنَ مِنْ نَهْرِ الْخَمْرِ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَبَبُ الْفَرَحِ وَالسُّرُوْرِ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ دَارُ الْفَرَحِ وَالسُّرُوْرِ وَالْبَقَاءِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى فِي قُلُوْبِ اَهْلِ الْجَنَّةِ غَمٌّ وَلَا هَمٌّ.

قَالَ سَعِيْدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ[1]: «قَالَ أَبُوْ هُرَيْرَةَ: يَا سَعِيْدُ أَسْأَلُ اللّٰهَ اَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوْقِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَلْ تَكُوْنُ فِي الْجَنَّةِ أَسْوَاقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَفَرَّجُوْنَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي سُوْقِ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ، وَإِذَا هَبَّتْ رِيْحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ تَنْشُرُ عَلَيْهِمُ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ وَتُمْطَرُ عَلَيْهِمُ الْحُلَلُ فَيَلْبَسُوْنَهَا وَيَرْكَبُوْنَ الْبُرَاقَ، ثُمَّ يَرْجِعُوْنَ مِنَ السُّوْقِ اِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَتَقُوْلُ نِسَاؤُهُمْ: قَدْ زَادَ جَمَالُكُمْ حُسْنًا، وَيَقُوْلُوْنَ لِأَهْلِهِنَّ: وَاللّٰهِ قَدْ زَادَ جَمَالُكُنَّ حُسْنًا كَمَا زَادَ جَمَالُنَا حُسْنًا».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ تَأْتِي الْمَلَائِكَةُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْبُرَاقِ ذَاتِ اَجْنِحَةٍ فَإِذَا رَكِبَ الْمُؤْمِنُوْنَ عَلَيْهِ يَطِيْرُوْنَ وَيُصَادِفُوْنَ فِي سَيْرِهِمْ جَبَلًا مِنَ السُّكَرِ، وَمِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ تَجْرِي الْأَنْهَارُ وَالْعُيُوْنُ فَتَنْبُتُ الْأَشْجَارُ الْمُتَنَوِّعَةُ

(١) هو أبو محمد سعيد بن الْمُسَيِّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي (١٥-٩٤هـ) تابعي من كبار التابعين في المدينة المنورة، المُلقّب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، وأحد رواة الحديث النبوي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين.

وَالْمُتَلَوِّنَةُ وَعَلَى اَغْصَانِ الْأَشْجَارِ اَنْوَاعُ الطُّيُوْرِ، وَيَتَرَنَّمُوْنَ بِلُغَاتِهِمْ فَيَنْزِلُوْنَ مِنْ بُرَاقِهِمْ فَيَسْكُنُوْنَ فِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ وَيَشْرَبُوْنَ مِنْ تِلْكَ الْعُيُوْنِ وَالْأَنْهَارِ وَتَأْتِي الطُّيُوْرُ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ مَشْوِيَّةً قُدَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُوْنَ مِنْهَا ثُمَّ يَرْكَبُوْنَ بُرَاقَهُمْ وَيَرْتَحِلُوْنَ مِنْ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ فَيَأْتِي قُدَامَهُمْ جِبَالٌ مِنَ الْمِسْكِ وَنَهْرُ السَّلْسَبِيْلِ وَالزَّنْجَبِيْلِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ الْجِبَالِ وَيَرَوْنَ فِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ الْقُصُوْرَ وَالْقُبَابَ وَالْكَرَاسِيَّ مِنْ يَاقُوْتٍ أَحْمَرَ، وَعَلَيْهَا النَّبِيُّوْنَ وَالشُّهَدَاءُ قَاعِدُوْنَ.

فَلَمَّا رَأَى الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ الْمُؤْمِنِيْنَ يُطْعِمُوْنَهُمْ وَيَسْقُوْنَهُمْ وَيُرَوُّوْنَهُمْ مِنَ الْكَأْسِ الْيَاقُوْتِيِّ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَهَبُّ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْجِبَالِ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ، وَالْأَنْوَارُ تَلْمَعُ عَلَيْهِمْ مُتَعَاقِبَةً كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَفِي جَوْفِ ذٰلِكَ الْأَنْوَارِ أَقْدَاحٌ مَمْلُوْءَةٌ مِنْ شَرَابٍ طَهُوْرٍ وَلٰكِنْ لَا يُعْلَمُ مَنْ يُعْطِي هٰذِهِ الْأَقْدَاحَ عَلَى اَيْدِي الْمُؤْمِنِيْنَ.

ثُمَّ يَأْتِي النِّدَاءُ: اَيُّهَا الْمُتَّقُوْنَ فِي الدُّنْيَا كُنْتُمْ مَحْرُوْمِيْنَ مِنْ لَذَائِذِهَا وَمِنْ نِعَمِهَا اَفْطِرُوْا الْآنَ مِنْهُ شَرَابًا طَهُوْرًا وَكُلُوْا الْآنَ مِنْ لَذَائِذِ نِعَمِ الْجَنَّةِ، فَيَقُوْلُ الْمُؤْمِنُوْنَ: يَا رَبَّنَا وَعَدْتَنَا فِي الدُّنْيَا النَّظَرَ اِلَى وَجْهِكَ وَلَا خُلْفَ فِي وَعْدِكَ فَبَيْنَمَاهُمْ فِي هٰذَا الْمَقَالِ اِذْ يَأْتِي شَيْئٌ مِثْلُ الْغَمَامِ يَظْهَرُ مِنْ جَوْفِهِ أَنْوَارٌ ثُمَّ يُرْفَعُ الْحِجَابُ فَيَتَجَلَّى نُوْرُ جَمَالِ اللّٰهِ تَعَالٰى كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُوْنَ جَمَالَ اللّٰهِ تَعَالٰى بِلَا كَيْفٍ وَلَا جِهَةٍ يَتَضَرَّعُوْنَ وَيَصِيْحُوْنَ بِحَيْثُ تَصِلُ أَصْوَاتُهُمْ اِلَى الْعَرْشِ وَيَكُوْنُوْنَ وَالِهِيْنَ، ثُمَّ يَشْرَبُوْنَ شَرَابًا طَهُوْرًا، ثُمَّ تَجِيْئُ عُقُوْلُهُمْ عَلَى رُؤُوْسِهِمْ فَيَكُوْنُوْنَ مُسْتَغْرِقِيْنَ فِي الرِّزْقِ وَالنِّعَمِ».

فَلَمَّا أَتَمَّ اللّٰهُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ السُّؤَالَ وَالْحِسَابَ يَسُوْقُ الْمَلَائِكَةُ النَّاسَ اِلَى مَفْصَلِ السَّبِيْلِ، ثُمَّ جَاءَ الْخِطَابُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى فَيَقُوْلُ ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ﴿٥٩﴾﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: اِعْتَزِلُوْا الْيَوْمَ مِنَ الصَّالِحِيْنَ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: تَمَيَّزُوْا،

وَقَالَ السُّدِيُّ: كُوْنُوْا عَلَى حَدَةٍ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ[١]: اِنْفَرِدُوْا منَ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: اِنَّ لِكُلِّ كَافِرٍ بَيْتًا فِي النَّارِفَيَدْخُلُ ذٰلِكَ الْبَيْتَ وَيُرْدَمُ بَابُهُ بِالنَّارِ فَيَكُوْنُوْنَ فِيْهِ اَبَدَ الْآبَادِ لَا يَرَى أَحَدًا وَلَا يُرَى، يَعْنِي يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «أَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَعَ الصَّالِحِيْنَ وَكَذٰلِكَ فِي الْقَبْرِ وَالْقِيَامَةِ فَالْآنَ تَفَرَّقُوْا مِنَ الصَّالِحِيْنَ لِأَنَّ مَصِيْرَكُمُ النَّارُ وَمَصِيْرَهُمُ الْجَنَّةُ فَلَا تَرَوْنَهُمْ اَبَدًا».

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُجْرِمُوْنَ هٰذَا الْكَلَامَ تَحَيَّرُوْا ثُمَّ تَأْتِي الزَّبَانِيَةُ يُفَرِّقُوْنَ الْمُجْرِمِيْنَ مِنَ الصَّالِحِيْنَ كَفَرْقِ الطُّيُوْرِ مِنَ الْجَرَادِ فَيُفْرَقُ الصَّدِيْقُ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْآبَاءُ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالزَّوْجُ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْأَخُ مِنَ الْأَخِ.

---

(١) هو أبو إسحاق الزجاج أو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج البغدادي (٢٤١-٣١١هـ/ ٨٥٥-٩٢٣م) نحوي من العصر العباسي، من أهل العلم بالأدب والدين المتين، كما وصفه ابن خلكان. صنف العديد من الكتب، أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب تفسير أسماء الله الحسنى. صحب وزير الخليفة العباسي المعتضد بالله عبيد الله بن سليمان.

فَلَمَّا رَأَوْا هٰذِهِ الْحَالَةَ بَكَوْا وَتَضَرَّعُوْا وَقَالُوْا: وَاوَيْلَاهْ وَاحَسْرَتَاهْ، ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ: يَا اَيُّهَا الزَّبَانِيَةُ أَمْهِلُوْنَا حَتَّى نَرَى وَيُوَدِّعَ بَعْضُنَا بَعْضًا فَيَأْذَنُوْنَ لَهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ فَيَضَعُ بَعْضُهُمْ وَجْهَهُ عَلَى وَجْهِ بَعْضٍ وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى عُنُقِ بَعْضٍ ثُمَّ يَبْكُوْنَ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وِفِي وَقْتٍ يَكُوْنُوْنَ لَا يَعْقِلُوْنَ وَفِي وَقْتٍ تَجِيْئُ عُقُوْلُهُمْ عَلَى رُؤُوْسِهِمْ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يُنَادِي الْمُنَادِي «**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ**» فَأَهْلُ النَّارِ يَذْهَبُوْنَ اِلَى الطَّرِيْقِ الْيُسْرَى اَيْ اِلَى طَرِيْقِ جَهَنَّمَ، وَاَهْلُ الْجَنَّةِ اِلَى الطَّرِيْقِ الْيُمْنَى اَيْ اِلَى طَرِيْقِ الْجَنَّةِ.

وَرُوَيَ فِي الْآثَارِ: «**اَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَكُوْنُوْنَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ شُيُوْخٌ وَشُبَّانٌ وَنِسَاءٌ وَفِي الْقُدَامِ يَذْهَبُ الشُّيُوْخُ ثُمَّ الشُّبَّانُ ثُمَّ النِّسَاءُ، فَتَأْخُذُ الزَّبَانِيَةُ الرِّجَالَ بِلِحَاهُمْ وَالنِّسَاءَ بِغَدَائِرِهِنَّ، فَلَمَّا قَرُبُوْا اِلَى جَهَنَّمَ يَقُوْلُوْنَ لِلزَّبَانِيَةِ اَمْهِلُوْنَا حَتَّى نَبْكِي عَلَى اَنْفُسِنَا سَاعَةً فَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَبْكُوْنَ بُكَاءً شَدِيْدًا بِحَيْثُ تَجْرِي**

السَّفِيْنَةُ فِي دُمُوْعِهِمْ».

ثُمَّ جَاءَ الْخِطَابُ ﴿اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يٰبَنِي اٰدَمَ اَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطٰنَ اِنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ۝٦٠﴾ يَعْنِي أَ لَمْ آمُرْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ فِي مَعْصِيَةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَلَا تَعْمَلُوْا بِقَوْلِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ عَدَاوَتَهُ لَكُمْ ظَاهِرَةٌ وَبَيِّنَةٌ.

﴿وَاَنِ اعْبُدُوْنِيْ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ ۝٦١﴾ أَيْ أَلَمْ آمُرْكُمْ اَنْ تُطِيْعُوْنِي فَإِنَّ نَجَاتَكُمْ فِي طَاعَةِ أَمْرِنَا ﴿وَلَقَدْ اَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيْرًا﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ وَعَاصِمٌ «جِبِلًّا» بِتَشْدِيْدِ اللَّامِ وَمَعْنَاهَا الْخَلْقُ وَالْجَمَاعَةُ أَيْ أَضَلَّ مِنْكُمُ الشَّيْطَانُ خَلْقًا كَثِيْرًا وَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الطَّرِيْقِ الْحَقِّ اِلَى الْبَاطِلِ ﴿اَفَلَمْ تَكُوْنُوْا تَعْقِلُوْنَ ۝٦٢﴾ أَيْ أَ مَا أَتَاكُمْ خَبَرٌ عَنْ هَلَاكِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِطَاعَةِ اِبْلِيْسَ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ اِذَا دَنَوْا مِنَ النَّارِ ﴿هٰذِه جَهَنَّمُ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ ۝٦٣ اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ۝٦٤﴾ أَيْ أُدْخُلُوْا

اِلَى جَهَنَّمَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ فِيْهَا وَعَبَدْتُمُ الْأَصْنَامَ، وَالْكُفَّارُ يُنْكِرُوْنَ الْكُفْرَ وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَيَقُوْلُوْنَ: «وَاللّٰهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ».

فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلٰٓى اَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ اَيْدِيْهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴿٦٥﴾﴾ فَتَقُوْلُ الْيَدُ: «**يَا رَبِّ بِيْ مَسَحَ وَزَارَ الْأَصْنَامَ**» وَتَقُوْلُ الرِّجْلُ: «**بِيْ قَامَ اِلَى الْأَصْنَامِ**» وَيَقُوْلُ الرَّأْسُ: «**يَا رَبِّ بِيْ سَجَدَ لِلْأَصْنَامِ**».

فَلَمَّا تَمَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ أَمَرَ اللّٰهُ تَعَالٰى الزَّبَانِيَةَ أَنْ أَطْرِحُوْهُمْ فِي جَهَنَّمَ فَتَطْرُحُ الزَّبَانِيَةُ مِنْهُمْ بِسُرْعَةٍ عَشَرَةَ آلَافِ عَاصٍ فِي جَهَنَّمَ فَتَأْخُذُ النَّارُ بَعْضَهُمْ اِلَى رُكْبَتِهِ، وَبَعْضَهُمْ اِلَى اَوْسَاطِهِ، وَبَعْضَهُمْ اِلَى حُلْقُوْمِهِ، وَبَعْضَهُمْ يَغْرِقُ فِيْهَا ثُمَّ تَكُوْنُ النَّارُ عَلَيْهِمْ كَالْقُبَّةِ فَمَا يَبْقَى مَنْفَذٌ تَخْرُجُ مِنْهُ أَنْفَاسُهُمْ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**يُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَضَى**

جَمِيْعُ عُمْرِهِ فِي الْعَيْشِ وَالرَّاحَةِ-يَعْنِي اَنَّهُ مُتَنَعِّمٌ فِي الدُّنْيَا- وَكَانَ عُمْرُهُ فِي رَاحَةِ الْعَيْشِ وَسُرُوْرِهِ فَيَطْرُحُوْنَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي النَّارِ ثُمَّ يُخْرِجُوْنَهُ وَيَقُوْلُوْنَ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا رَاحَةَ الْعَيْشِ؟ فَيَقُوْلُ: وَاللّٰهِ مَا رَأَيْتُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةَ عَيْشٍ اَصْلًا نَسِيَ كُلَّ ذٰلِكَ بِدُخُوْلِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

فَاعْلَمْ اَيُّهَا الْأَخُ الْعَزِيْزُ أَنَّ ذِكْرَ النَّارِ شَدِيْدٌ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ رَأَى فَرُؤْيَتُهَا شَدِيْدَةٌ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ يَدْخُلُهَا خَالِدًا فِيْهَا أَبَدًا؟،

فَلَوْ نَظَرَتِ الزَّبَانِيَةُ اِلَى اَهْلِ الدُّنْيَا مَرَّةً لَهَلَكُوْا مِنْ هَيْبَتِهِمْ وَلَوْ هَبَّتْ رِيْحٌ مِنْ رِيَاحِ جَهَنَّمَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لَهَلَكُوْا مِنْ نَتْنِ رِيْحِهَا، وَلَوْ وُضِعَتْ أَغْلَالُهَا عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الدُّنْيَا لَذَابَ مِثْلَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ، وَلَوْ قَطَرَتْ اِلَى الدُّنْيَا قِطْرَةٌ مِنَ الزَّقُّوْمِ لَتَكَدَّرَتْ مَعِيْشَةُ أَهْلِ الدُّنْيَا لِذٰلِكَ، فَمَا حَالُ الَّذِيْنَ كَانَ لِبَاسُهُمْ وَطَعَامُهُمْ هٰذَا؟ فَانْظُرْ كَيْفَ يَكُوْنُ حَالُهُمْ.

رُوِيَ عَنْ اَبِي الدَّرْدَاءِ[١] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَلَّطَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوْعَ، وَعَذَابُ الْجُوْعِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنْ سَائِرِ الْعَذَابِ فَيَبْكُوْنَ وَيَطْلُبُوْنَ الطَّعَامَ فَتَأْتِي الزَّبَانِيَةُ اِلَيْهِمْ بِضَرِيْعٍ وَهُوَ حَشِيْشٌ فِي الْبَرِيَّةِ اِذَا أَكَلَهُ الْجَمَلُ يَقِفُ فِي حُلْقُوْمِهِ فَيَمُوْتُ، فَإِذَا أَكَلَ أَهْلُ النَّارِ ذٰلِكَ الضَّرِيْعَ وَوَقَعَ فِي حُلْقُوْمِهِمْ طَلَبُوْا مَاءً فَيَأْتُوْنَ لَهُمْ بِشُرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ حَمِيْمٍ[٢]، فَإِذَا قَرَّبُوْا الْمَشْرَبَةَ اِلَى اَفْوَاهِهِمْ ذَابَتْ لُحُوْمُ وُجُوْهِهِمْ وَوَقَعَتْ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ ذٰلِكَ الْمَاءِ فَإِذَا شَرِبُوْا قَطَّعَتْ اَمْعَاؤَهُمْ فِي بُطُوْنِهِمْ فَيَنْظُرُوْنَ وَيَتَضَرَّعُوْنَ اِلَى الزَّبَانِيَةِ، فَتَقُوْلُ الزَّبَانِيَةُ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرٌ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُوْلُوْنَ: بَلَى وَلٰكِنْ لَمْ نَسْمَعْ كَلَامَ

---

(١) هو أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: ابن عبد الله، وقيل: ابن ثعلبة بن عبد الله، الأنصاري الخزرجي، الإمام القدوة قاضي دمشق، صاحب رسول الله ﷺ من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. أسلم متأخرًا يوم بدر، وكان من المجتهدين في التعبد وقراءة القرآن، رحل إلى الشام بعد فتحها ليُعلّم الناس القرآن، وليُفقّههم في دينهم، وتولى قضاء دمشق، ظل بها إلى أن مات فيها في خلافة عثمان بن عفان ومات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين.

(٢) اي ماء شديد الحرارة.

الرُّسُلِ وَلَمْ نُصَدِّقْهُمْ، فَتَقُوْلُ الزَّبَانِيَةُ: اَلْآنَ لَا يُفِيْدُكُمُ الْجُوْعُ وَالتَّضَرُّعُ ثُمَّ يَتَضَرَّعُوْنَ اِلَى مَالِكٍ فَلَمْ يُجِبْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ فَإِذَا تَمَّ الْأَلْفُ يَقُوْلُ مَالِكٌ لَهُمْ: اِنَّكُمْ مَاكِثُوْنَ فِيْهَا، ثُمَّ يَتَضَرَّعُوْنَ اِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ وَيَقُوْلُوْنَ: «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّيْنَ رَبَّنَآ اَخْرِجْنَا مِنْهَا فَاِنْ عُدْنَا فَاِنَّا ظٰلِمُوْنَ»[1] يَعْنِي اِنْ فَعَلْنَا مَعْصِيَةً بَعْدَ ذٰلِكَ فَأَدْخِلْنَا وَعَذِّبْنَا بِأَنْوَاعِ عَذَابِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ يَجِيْئُ الْخِطَابُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالىٰ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ «**إِخْسَئُوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ**» أَي اُسْكُتُوْا فِيْهَا وَلَا تَتَكَلَّمُوْا فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مَقَامَ سُؤَالٍ وَكُوْنُوْا ذَلِيْلِيْنَ بُعَدَاءَ مِنِّي.

وَبَعْدَ ذٰلِكَ لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى التَّكَلُّمِ وَتَكُوْنُ أَصْوَاتُهُمْ كَأَصْوَاتِ الْحَمِيْرِ فَيَكُوْنُوْنَ مَحْرُوْمِيْنَ مِنْ جَمِيْعِ الْخَيْرَاتِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْعَزِيْزُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ وَصْفُ جَهَنَّمَ بِكَمَالِهَا فَكَيْفَ يُمْكِنُ الْمُكْثُ فِيْهَا سَاعَةً.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٦-١٠٧

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ نَارَكُمْ هٰذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَنَارُكُمْ هٰذِهِ قَدْ طُفِئَتْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً ثُمَّ أُخْرِجَتْ اِلَى الدُّنْيَا»[1]

وَرُوِيَ فِي الْآثَارِ: «لَوْ اَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ أُخْرِجَ وَطُرِحَ اِلَى جَوْفِ نَارِ الدُّنْيَا لَنَامَ فِيْهَا سَبْعِيْنَ سَنَةً لَا يَنْقَلِبُ مِنْ جَانِبٍ اِلَى جَانِبٍ آخَرَ مِنْ كَمَالِ الْإِسْتِرَاحَةِ فِيْهَا» أَعَاذَنَا اللّٰهُ تَعَالٰى وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلٰٓى اَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَاَنّٰى يُبْصِرُوْنَ﴿٦٦﴾﴾ أَي لَوْ نَشَاءُ أَذْهَبْنَا أَعْيُنَهُمُ الظَّاهِرَةَ بِحَيْثُ لَا يَبْدُوْ لَهَا جَفْنٌ وَلَا شَقٌّ.

وَمَعْنَى «الطَّمْسِ» الذَّهَابُ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى «وَلَوْ شَآءَ

---

(١) وجاء بلفظ «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم لكل جزء منها حَرها**» رواه الترمذي برقم (٢٥٩٠)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وفي الحديث الصحيح رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك «**إن نارَكم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولَولا أنها أطفئت بالماء مرتين ، ما انتفعتم بها ، وإنها لتدعو الله عزَّ وجلَّ أن لا يعيدَها فيها**»

اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَاَبْصَارِهِمْ»[١]

يَعْنِي يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ «**كَمَا اَعْمَيْنَا قُلُوْبَهُمْ لَوْ نَشَاءُ أَعْمَيْنَا أَبْصَارَهُمُ الظَّاهِرَةَ فَيُبَادِرُوْنَ الطَّرِيْقَ فَلَا يُبْصِرُوْنَ**».

وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ[٢]: لَوْ نَشَاءُ أَعْمَيْنَا أَعْيُنَهُمْ، يَعْنِي لَأَضْلَلْنَاهُمْ عَنِ الْهُدَى وَتَرَكْنَاهُمْ يَتَرَدَّدُوْنَ فَلَا يُبْصِرُوْنَ الطَّرِيْقَ، هٰذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَالسُّدِّيِّ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ وَعَطَاءٌ[٣] وَقَتَادَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ: مَعْنَاهُ لَفَقَدْنَا أَعْيُنَ ضَلَالَتِهِمْ، يَعْنِي حَوَّلْنَا أَبْصَارَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ اِلَى الْهُدَى فَأَبْصَرُوْا رُشْدَهُمْ وَرَجَعُوْا عَنْ غَيِّهِمْ وَلَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ، يَعْنِي لَوْ اَرَدْنَا لَمَحَوْنَا أَعْيُنَهُمْ فَإِذَا أَرَادُوْا أَنْ يَذْهَبُوْا اِلَ الطَّرِيْقِ فَلَا يَقْدِرُوْنَ وَلٰكِنْ مَا جَعَلْنَاهُمْ كَذٰلِكَ فَلِمَ

---

(١) سورة البقرة: ٢٠

(٢) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، فإنه كان أحد المشهورين بالعلم، والمعروفين بالفهم؛ أخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، وكان قيما بمعرفة البصريين والكوفيين، وكيسان لقب لأبيه كذلك، توفي ٢٩٩هـ/ ٩١٢م.

(٣) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان (٢٧-١١٤هـ/ ٦٤٧-٧٣٢م) هو فقيه وعالم حديث، وهو من الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجري.

لَا يَشْكُرُوْنَ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنٰهُمْ عَلٰى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوْا مُضِيًّا وَّلَا يَرْجِعُوْنَ﴿٦٧﴾﴾ أَي لَوْ أَرَدْنَا لَجَعَلْنَاهُمْ فِي مَكَانِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيْرَ.

وَقِيْلَ: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُمْ حِجَارَةً وَهُمْ قُعُوْدٌ فِي مَنَازِلِهِمْ وَلَا أَرْوَاحَ لَهُمْ يَرْجِعُوْنَ اِلَى مَا كَانُوْا.

وَقِيْلَ: لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى الذَّهَابِ وَلَا الرُّجُوْعِ، يَعْنِي «**لَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنٰهُمْ**» كَمَا مَسَخْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمًا آخَرِيْنَ وَلٰكِنْ مَا جَعَلْنَاهُمْ كَذٰلِكَ فَلِمَ لَا يَشْكُرُوْنَ اللّٰهَ عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ.

﴿وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ﴾ قَرَأَ حَمْزَةُ وَعَاصِمٌ بِالتَّشْدِيْدِ، وَقَرَأَ الْآخَرُوْنَ بِفَتْحِ النُّوْنِ الْأُوْلَى وَسُكُوْنِ الثَّانِيَةِ وَضَمِّ الْكَافِ مُخَفَّفًا أَيْ نَرُدُّهُ اِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ يُشْبِهُ الصَّبِيَّ كَمَا فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ اَوْ نُضَعِّفُ جَوَارِحَهُ بَعْدَ قُوَّتِهَا وَنَرُدُّهَا وَنَنْقُصُهَا بَعْدَ زِيَادَتِهَا ﴿اَفَلَا يَعْقِلُوْنَ﴿٦٨﴾﴾ يَعْنِي أَفَلَا يَعْتَبِرُوْنَ

وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ يَقْدِرُ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: اَلْمُرَادُ مِنَ النَّكْسِ ذَهَابُ الْمَعْصِيَةِ، يَعْنِي اِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ شَيْخًا رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْهُ فَلَا يُكْتَبُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا لَا يُكْتَبُ مِنْ سَيِّئَاتِ الصَّبِيِّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ «**اَلشَّيْبُ نُوْرِي وَأَنَا أَسْتَحِي أَنْ أُحْرِقَ نُوْرِي بِنَارِي**»[1].

﴿وَمَا عَلَّمْنٰهُ الشِّعْرَ﴾ سَبَبُ نُزُوْلِ هٰذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَ الْكَلَبِي[2]: اَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ قَالُوْا: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ شَاعِرٌ، وَمَا يَقُوْلُهُ شِعْرٌ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى هٰذِهِ الْآيَةَ تَكْذِيْبًا لَهُمْ يَعْنِي: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الشِّعْرَ وَمَا يَلِيْقُ لَهُ الشِّعْرُ لِأَنَّ الشِّعْرَ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْمُرْسَلِيْنَ.

---

(١) رواه الديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (١١٣٦)، وعنه السلفي في «معجم السفر» (٢٣٢)، وأشار الذهبي في «ميزان الاعتدال» -ترجمة دينار أبي مكيس الحبشي- إلى وضعه.

(٢) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي (٥٥-١٤٦هـ/ ٦٧٥-٧٦٣م) نسابة، راوية، وعالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها. وهو والد هشام بن محمد الكلبي المصنف العربي المشهور.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»[١]

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اَلْحَيَاءُ وَالسُّكُوْتُ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَالْبَذَاءُ[٢] وَالْبَيَانُ[٣] شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»[٤]

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ قَوْمًا تَقْطَعُ الزَّبَانِيَةُ شِفَاهُمْ بِالْمَقَارِيْضِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيْلَ عليه السلام مِنْ هٰؤُلَاءِ، قَالَ: هُمُ الشُّعَرَاءُ»

﴿وَمَا يَنْبَغِيْ لَه﴾ وَمَا يَسْهُلُ لَهُ ذٰلِكَ، وَقَالَ مُعَمَّرٌ عَنْ قَتَادَةَ بَلَغَنِي أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها سُئِلَتْ هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَمَثَّلُ بِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ؟ قَالَتْ: كَانَ الشِّعْرُ أَبْغَضُ شَيْءٍ اِلَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) اخرجه البخاري (٦١٥٤) عن عبد الله ابن عمر.

(٢) البذاء هو الفُحْشُ في الكلام

(٣) أراد بالبيان هنا: كثرة الكلام، والتكلف للناس بكثرة التَّمَلُّق والثناء عليهم، وإظهار التفصح، وذلك ليس من شأن أهل الإيمان، وقد يتملق الإنسان إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وحقيقته.

(٤) رواه احمد (٢٢٣١٢) والترمذي (٢٠٢٧) من حديث ابي أمامة رضي الله عنه ولفظه منهما «اَلْحَيَاءُ وَالعِيُّ-يعني قلة الكلام- شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ».

قَالَتْ: وَلَمْ يَتَمَثَّلِ النَّبِيُّ ﷺ بِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ اِلَّا بِبَيْتٍ مِنْ شِعْرِ بَنِي قَيْسٍ:

سَتُبْدِيْ لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ۞ وَيَأْتِيْكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فَقَالَ اَبُوْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَلَيْسَ هٰذَا شِعْرًا يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ، فَقَالَ ﷺ: اِنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ وَلَا يَنْبَغِي لِي الشِّعْرُ ﴿اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ وَّقُرْاٰنٌ﴾ اَيْ مَوْعِظَةٌ ﴿مُّبِيْنٌ ۝٦٩﴾ أَي يُبَيِّنُ الْفَرَائِضَ وَالْحُدُوْدَ وَالْأَحْكَامَ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اَنَّهُ كُلَّمَا اَرَادَ اَنْ يَقْرَأَ بَيْتًا عَلَى طَرِيْقِ التَّمْثِيْلِ يُبْدِلُ ذٰلِكَ الْبَيْتَ فِي لِسَانِهِ بِقُدْرَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى مِنْ سِمْتِ النَّظْمِ اِلَى النَّثْرِ كَمَا قَرَأَ يَوْمًا هٰذَا الْبَيْتَ: كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا».

قَالَ اَبُوْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَنَا صَاحِبُ هٰذَا الْبَيْتِ: كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا، ثُمَّ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ الْأَوَّلِ، فَقَالَ اَبُوْ

بَكرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: اَشْهَدُ اَنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ وَمَا عَلَّمَكَ اللّٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَكَ، فَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلَامًا مَوْزُوْنًا اِلَّا هٰذَا:

اَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ۞ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

﴿لِّيُنْذِرَ﴾ يَعْنِي بِالْقُرْآنِ، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ وَالشَّامِ وَيَعْقُوْبُ بِالتَّاءِ أَي لِتُنْذِرَ يَا مُحَمَّدُ، وَقَرَأَ الْآخَرُوْنَ بِالْيَاءِ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يَعْنِي مُؤْمِنًا حَيَّ الْقَلْبِ لِأَنَّ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ لِأَنَّهُ لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَتَفَكَّرُ، يَعْنِي أَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا لِيُنْذِرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالْقُرْآنِ ﴿وَّيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ أَيْ تَجِبُ حُجَّةُ الْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ۝٧٠﴾ الْمُصِرِّيْنَ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِّمَّا عَمِلَتْ اَيْدِيْنَآ اَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مٰلِكُوْنَ ۝٧١﴾ أَي مِمَّا تَوَلَّيْنَا خَلْقَهُ بِأَيْدِيْنَا بِغَيْرِ اِعَانَةِ اَحَدٍ، يَعْنِي: أَلَمْ يَرَ الْمُنْكِرُوْنَ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ بِقُدْرَتِنَا دَوَابَّ مِثْلَ الْفَرَسِ وَالْبِغَلِ وَالْحِمَارِ وَالْفِيْلِ وَالْجَمَلِ وَالْغَنَمِ وَالْمَعِزِّ

وَغَيْرِهَا ﴿وَذَلَّلْنٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوْبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُوْنَ۝٧٢﴾ أَيْ سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ فَيَحْمِلُوْنَ عَلَيْهَا وَيَسُوْقُوْنَهَا حَيْثُ شَاءُوْا، وَالْمُرَادُ مِمَا يَأْكُلُوْنَ، أَيْ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ، أَيْ جَعَلْنَاهُ مَأْكُوْلًا ﴿وَلَهُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾ مِنْ اَصْوَافِهَا وَاَشْعَارِهَا وَاَوْبَارِهَا وَأَلْبَانِهَا وَأَسْمَانِهَا ﴿اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ۝٧٣﴾ رَبَّ هٰذِهِ النِّعْمَةَ.

﴿وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اٰلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ۝٧٤﴾ أَيْ هُمْ تَرَكُوْا عِبَادَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى الَّذِي هُوَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ وَرَبُّ هٰذِهِ النِّعْمَةِ، وَعَبَدُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ آلِهَةً لَتَمْنَعُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَهُمْ ﴿لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: لَا تَقْدِرُ الْأَصْنَامَ عَلَى نَصْرِهِمْ ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُوْنَ۝٧٥﴾ أَيِ الْكُفَّارُ لِلْأَصْنَامِ يُحْضَرُوْنَ بِالْعِبَادَةِ عِنْدَهَا فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَا تَسُوْقُ اِلَيْهِمْ خَيْرًا وَلَا تَسْتَطِيْعُ لَهُمْ نَصْرًا.

وَقِيْلَ: هٰذِهِ فِي الْآخِرَةِ يُؤْتَى كُلُّ مَعْبُوْدٍ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ

تَعَالٰى وَمَعَهُ اَتْبَاعُهُ الَّذِيْنَ عَبَدُوْهُ كُلُّهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُوْنَ فِي النَّارِ.

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعْنِي قَوْلَ كُفَّارِ مَكَّةَ فِي تَكْذِيْبِكَ ﴿اِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ﴾ فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنَ التَّكْذِيْبِ ﴿وَمَا يُعْلِنُوْنَ﴿٧٦﴾﴾ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِيْذَاءِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوْا فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ ﷺ شَاعِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ اَوْ كَاهِنٌ فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدُ مِمَّا يَقُوْلُ الْكُفَّارُ اِنَّا نَعْلَمُ قَوْلَهُمْ وَنَنْتَقِمُ مِنْهُمْ.

﴿اَوَلَمْ يَرَ الْاِنْسَانُ اَنَّا خَلَقْنٰهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ﴿٧٧﴾﴾ أَي بَيِّنُ الْخُصُوْمَةِ، يَعْنِي: اَنَّهُ مَخْلُوْقٌ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ يُخَاطَبُ فَكَيْفَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي بَدْءِ خَلْقِهِ حَتّٰى يَدَعَ الْخُصُوْمَةَ.

سَبَبُ نُزُوْلِ الْآيَةِ، أَنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ[1] خَاصَمَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْبَعْثِ فَأَتَاهُ بِعَظْمٍ بَالٍ وَهُوَ يُفَتِّتُهُ، وَيَقُوْلُ: «**أَتَرَى أَنَّ اللّٰهَ**

(١) هو أبي بن خلف أحد رؤوس قريش وكبارهم، وهو أخ لأميّة بن خلف الذي اشتهر بتعذيبه لبِلال بن رباح، قُتل في غزوة أحد في العام الثالث الهجري على يد رسول الله ﷺ.

يُحْيِي هٰذَا بَعْدَ مَا رَمَّ؟»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ، فَلَمَّا سَمِعَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ هٰذَا الْكَلَامَ غَضَبَ**» فَقَالَ: «**بِحَقِّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى لَأَقْتُلَنَّكَ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**لَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْتُلَنِي وَلٰكِنْ أَنَا أَقْتُلُكَ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالىٰ وَأُسَلِّمُكَ اِلَى النَّارِ**».

ثُمَّ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًافَرَآهُ يَخْدُمُ بِنَفْسِهِ فَرَسًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلِمَ تَخْدُمُ هٰذَا الْفَرَسَ؟**» فَقَالَ: «**لِأَرْكَبَ عَلَيْهِ وَأَقْتُلُكَ**» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالىٰ**» فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ.

فَمَضَى زَمَانٌ طَوِيْلٌ ثُمَّ وَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ فَجَاءَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ مَعَ جُنْدِ مَكَّةَ اِلَى أُحُدٍ فَوَقَفَ اِلَى الْمُحَارَبَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ فَخَلَطَ الْجُنْدَانِ فَصَادَفَ النَّبِيُّ ﷺ حِيْنَ الْمُحَارَبَةِ أُبَيَّ ابْنَ خَلَفٍ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ بِحَرْبَةٍ فَجَرَى الدَّمُ مِنْ عُنُقِ أُبَيٍّ فَصَاحَ صَيْحَةً فَقَالَ: «**اَيْنَ ذَهَبَ**-أَي النَّبِيُّ ﷺ- **وَقَدْ ضَرَبَنِي بِرُمْحٍ**»

وَكَانَ أَبُوْ سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ أَمِيْرَ الْجُنْدِ، فَقَالَ: «يَا أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ بِحَقِّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، مَا أَفْتَحُ فَاكَ لَا عِزَّةَ وَلَا حِمْيَةَ لَكَ أَبِقَدْرِ هٰذِهِ الْجِرَاحَةِ أَنْتَ تَصِيْحُ مِثْلَ الْبَقَرِ؟ وَالصِّبْيَانُ إِذَا لَعِبَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَضَرَبَ اَحَدُهُمْ أَحَدًا يَكُوْنُ مِثْلَ هٰذِهِ الْجِرَاحَةِ» فَقَالَ أُبَيٌّ: «يَا أَبَا سُفْيَانَ لَا أَبْكِي وَلَا أَصِيْحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْجِرَاحَةِ، وَلٰكِنْ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِيْ: إِنِّي أَقْتُلُكَ وَأَنْتَ عَلَى هٰذَا الْفَرَسِ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَا يَكْذِبُ أَبَدًا وَجَمِيْعُ جِرَاحَتِي فِي قَلْبِي وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيْهِ» فَآخِرُ الْأَمْرِ مَاتَ مِنْ تِلْكَ الْجِرَاحَةِ.

فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالىٰ هٰذِهِ الْآيَةَ فِي جَوَابِهِ، يَعْنِي: أَمَا يَعْلَمُ هٰذَا الْكَافِرُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قِطْرَةِ مَاءٍ، ثُمَّ يُخَاصِمُ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أَي أَمْرًا عَجِيْبًا وَهِيَ نَفْيُ الْقُدْرَةِ عَنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى تَشْبِيْهًا بِخَلْقِهِ بِوَصْفِهِ بِالْعَجْزِ عَمَّا عَجَزُوْا ﴿وَنَسِيَ خَلْقَه﴾ أَيْ خَلَقْنَا إِيَّاهُ ﴿قَالَ مَنْ يُّحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ ۝٧٨﴾ بَالِيَةٌ، وَلَمْ

يَقُلْ رَمِيْمَةٌ لِأَنَّهُ مَعْدُوْلٌ عَنْ «فَاعِلَةٍ»، وَكُلُّ مَا كَانَ مَعْدُوْلًا عَنْ «فَاعِلَةٍ» فَجِهَةُ وَزْنِهِ «فَعِيْلٌ» كَأَنَّهُ مَصْرُوْفٌ عَنْ أَخَوَاتِهِ، كَقَوْلِهِ «وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا»[1] أُسْقِطَ الْهَاءُ لِأَنَّهَا مَصْرُوْفَةٌ عَنْ «بَاغِيَةٍ».

ثُمَّ أَرَادَ اللّٰهُ تَعَالىٰ الْجَوَابَ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُجِيْبًا لِعَدُوِّهِ ﴿قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِيْٓ اَنْشَاَهَآ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ ۝٧٩﴾ يَعْنِي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأُبَيِّ ابْنِ خَلَفٍ يُحْيِي الْعِظَامَ الَّذِي خَلَقَهَا فِي ابْتِدَائِهَا وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ خَلْقٍ وَهُوَ الْخَالِقُ الَّذِيْ خَلَقَ مِنْ قِطْرَةِ مَاءٍ صُوْرَةً أَفَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَهَا مِنَ التُّرَابِ لِأَنَّ الْمُصَوِّرِيْنَ لَمْ يُصَوِّرُوْا مِنَ الْمَاءِ وَلٰكِنْ يُصَوِّرُوْنَ مِنَ التُّرَابِ وَالطِّيْنِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿نِالَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْاَخْضَرِ نَارًا فَاِذَآ اَنْتُمْ مِّنْهُ تُوْقِدُوْنَ ۝٨٠﴾ كَالْمَرَخِ وَالْعِفَارِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: هُمَا شَجَرَتَانِ فِي الْبَرِيَّةِ، يُقَالُ

(١) سورة مريم: ٢٨

لِإِحْدَاهُمَا الْمَرَخُ وَالْأُخْرَى الْعِفَارُ، فَمَنْ اَرَادَ أَنْ يُوْقِدَ النَّارَ قَطَعَ غُصْنَيْنِ مِنْهُمَا مِثْلَ الْمَسَاوِكِ وَهُمَا أَخْضَرَانِ يَقْطُرُ مِنْهُمَا الْمَاءُ فَيُسْحَقُ الْمَرَخُ عَلَى الْعِفَارِ فَتَخْرُجُ مِنْهُمَا النَّارُ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ، وَمِنْهُ تَقْدَحُوْنَ وَتُوْقِدُوْنَ، أَي مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ.

يَقُوْلُ الْعَرَبُ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَإِلَّا لَمْ يُسْتَخْرَجْ مَاءُ الْمَرَخِ وَالْعِفَارِ.

وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ اِلَّا الْعِنَابَ، فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَجْمَعَ الْمَاءَ وَالنَّارَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى لَا مَحَالَةَ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَيْ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ ﴿اَوَلَيْسَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِقٰدِرٍ عَلٰٓى اَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلٰى وَهُوَ الْخَلّٰقُ﴾ قَرَأَ يَعْقُوْبُ «يَقْدِرُ» بِالْيَاءِ عَلَى الْفِعْلِ، أَيْ قَالَ: بَلَى، هُوَ قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ وَيَخْلُقُ كَمَا خَلَقَ ﴿الْعَلِيْمُ ۝٨١﴾ بِجَمِيْعِ مَا خَلَقَ وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَفَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ إِنْسَانًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

﴿اِنَّمَآ اَمْرُه اِذَآ اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَّقُوْلَ لَه كُنْ فَيَكُوْنُ۝٨٢﴾ أَي إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، يَعْنِي: إِذَا أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يُخْرِجَ شَيْئًا مِنَ الْعَدَامِ اِلَى الْوُجُوْدِ لَا يَحْتَاجُ اِلَى آلَةٍ وَفِكْرٍ وَمُعَاوَنَةٍ بَلْ يَقُوْلُ لِذٰلِكَ الشَّيْءِ «كُنْ» فَيَكُوْنُ فِي سَاعَةٍ بِلَا تَوَقُّفٍ، فَالْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ «كُنْ» مَعْنَى الْإِبْدَاعِ.

وَذُكِرَ فِي تَفْسِيْرِ التَّيْسِيْرِ، اَلْمُرَادُ مِنْهُ كَلِمَةُ «كُنْ» بَلْ سُرْعَةُ اِنْفَاذِ أَمْرِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فِي تَكْوِيْنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْرَاعِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ التَّكَلُّمُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ[1]: كَلِمَةُ «كُنْ» عَادَةُ اللّٰهِ تَعَالىٰ حَتَّى يَسْمَعَ الْمَلَائِكَةُ وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يُرِيْدُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا.

---

(١) العلماء الأكابر في التفسير هم كبار العلماء الذين تميزوا بعلمهم الواسع في تفسير القرآن الكريم، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو من أتى بعدهم، ويُعرفون بـ"أكابر" أي أنهم أصحاب مكانة علمية رفيعة في هذا المجال. على سبيل المثال.

﴿فَسُبْحٰنَ الَّذِيْ بِيَدِه مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَلَفْظُ «سُبْحَانَ» إِمَّا كَلِمَةُ التَّنْزِيْهِ وَإِمَّا كَلِمَةُ التَّعَجُّبِ، وَالْـ«مَلَكُوْتُ» بِمَعْنَى الْمُلْكِ، كَمَا أَنَّ الرَّحَمُوْتَ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْمَلَكُوْتَ وَالسُّلْطَانَةَ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهُمْ يُرْجَعُوْنَ اِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يُجْزَوْنَ اِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّ فَشَرٌّ ﴿وَّاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ۝٨٣﴾ هٰذَا وَعْدٌ لِلصَّالِحِيْنَ وَوَعِيْدٌ لِلظَّالِمِيْنَ وَالْعَاصِيْنَ. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ اَنَّهُ قَالَ: «**إِقْرَءُوْا عَلَى مَوْتَاكُمْ سُوْرَةَ يٰسٓ**»(١).

الحمد للّه وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن الهم رشده «اما بعد» فقد تم بعون اللّه رب العالمين طبع كتاب تفسير سورة يٰس لمن حاز الفضيلة والسيادة، الشيخ حمامي زاده وهو تفسير عبير العبارة قريب الاشارة محل الطور وموشى الغرر بما لا بد سورة يٰس منه من تفاسير وقرءات واعاريب وحكايات وذلك بالمطبعة المصرية التي حازت من الدقة والعناية غاية ونهاية وذلك في اواخر شهر جمادي الآخرة سنة الف وثلاثمائة وستين هجرية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية آمين.

(١) والحديث رواه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان، بغير لفظ «سورة».